ملخص بحث بعنوان

حذف حروف المباني في القرآن الكريم ٠

دراسة بلاغية في بنية المفردة القرآنية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلي أله وأصحابه أجمعين، وبعد

فهذا ملخص بحث بعنوان: حذف حروف المباني في القرآن الكريم دراسة بلاغية في بنية المفردة القرآنية تناولت فيه حذف حرف من بنية الكلمة المفردة في القرآن الكريم، وتتبعت فيه هذه الظاهرة اللغوية والدلالية في كتاب الله، وحاولت الاقتراب منها، للتعرف على دواعيها ومناشئها، واستكناه بعض أسرارها ونكاتها، للوقوف على بعض وجوه الإعجاز والعظمة في كتاب الله تعالي ٠

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يجئ في مقدمة، وتمهيد، وستة محاور، وخاتمة وفهارس

١- المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والخطة التي يقوم عليها البحث، والمنهج المتبع في الدراسة ٠

٢- التمهيد: تحدثت فيه عن أنواع الحذف وأسبابه ٠

٣- المحور الأول حذف ياء المنقوص في القرآن الكريم ٠

٤- المحور الثاني: حذف لام الفعل في القرآن الكريم ٠

٥- المحور الثالث: حذف الألف من آخر حاشا ٠

٦- المحور الرابع: حذف ألف ها التي للتنبيه ٠

٧- المحور الخامس: حذف وسط الكلمة ٠

٨- المحور السادس: حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع ٠

٩- الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج ٠

١٠- ثبت للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات ٠

وقد أردت أن أثبت من هذا البحث أمرين:

الأول: أن اكشف قدر الطاقة عن جانب مهم من جوانب العظمة والإعجاز في القرآن لم يحظ بوافر عناية ولم يلق كبير اهتمام، هذا الجانب يتعلق في الأساس بالمفردة القرآنية التي خرجت في مبناها ومعناها على نحو فريد ونمط متميز٠

الثاني: أن الرسم العثماني للمصحف الشريف في كثير من جوانبه رسم توقيفي من عند الله، وليس للبشر حظ في تصوير كلماته أو رسم حروفه ٠

والله أسال أن يكون من وراء القصد إنه ولي ذلك والقادر عليه

أ٠م/السيد أحمد أحمد موسي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

Abstract

The title of the study is: "The deletion of the structural letters in the Holy Quran… eloquence study of the Quran vocabulary". The researcher studied the deletion of letters from the structure of the Quran vocabulary. The researcher followed the linguistic and indication features in the Holy Quran. The researcher tried to find out its sources and secrets to assure the greatness and Miracles of the Holy Quran.

The study consists of:
Introduction, Preface, Six Items, conclusion, and Index.

١- Introduction: includes the importance of the study topic , the reasons of the choice for this study topic , the thesis, the methodology followed in the study.

٢- Preface: includes the deletion types and reasons.

٣- First Item: deletion of "y/ ى " in the Holy Quran.

٤- Second Item: deletion of " L/ ل " from the verb in the Holy Quran.

٥- Third Item: deletion of " a/أ " from the last letter in word" Hasha حاشا "

٦- Fourth Item: deletion of " a/أ " from the word" ha ها " which for alarm and warning.

٧- Fifth Item: deletion of the middle of the word.

٨- Sixth Item: deletion of one of the "t/ ت" from the initials in the present tense.

٩- Conclusion: includes the results

١٠-Index: includes the resources and references and the latest topics.

The researcher tried to prove two things in the study:

First: as the eloquence is a description of the word and the speaker, it could be also a description of the vocabulary in general and in specific cases.

Second : the Ottoman writing of the holy Quran is a sacred one from God and humans have no chance to describe its vocabulary or write its letters.

Dr/ El Sayed Ahmed Ahmed Mousa

Assistant professor of criticism and eloquence

The faculty of Islamic and Arabic Studies

"المقدمة"

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فما زال القرآن الكريم ــ وسيظل ــ منهلاً عذباً، ومورداً صافياً، وميداناً رحباً للباحثين وطلاب العلم على اختلاف منازعهم، وتعدد مشاربهم، وتنوع توجهاتهم في كل زمان ومكان؛ فعطاء القرآن لا ينفد، ومعينه لا يغيض.

ومع ما بذله علماء الإسلام عامة، وعلماء العربية خاصة من جهد كبير، وعمل دؤوب خلف لنا تراثاً علمياً ضخماً هو مفخرة للعرب وأمة الإسلام على مر التاريخ؛ وذلك في محاولة منهم لاستكناه بعض أسرار القرآن، والوقوف على بعض وجوه الإعجاز الكامنة فيه، والتعرف على بعض طرائق البيان التي وقع بها التحدي، إلا أن القرآن ما زال يضم بين دفتيه كثيراً من أسرار البيان، وكثيراً من الأساليب والظواهر اللغوية والدلالية التي تعد تربة خصبة، وأرضاً بكراً تنتظر من العلماء والباحثين من يفض أختامها، ويفتق أكمامها عن ثمراتها، ويستخرج مكنون دررها ولآلئها، وهي لن تكشف عن وجهها لكل أحد يخطبها، ولن تخرج نبتها لكل زارع يحرثها، ولن تنشق عن جوهرها لكل غواص يطلبها، بل لن تكشف عن وجهها إلا لمن يغليها مهرها، ولن تنشق صدفتها عن جوهرها إلا لكل غواص ماهر خبير، ولن يظفر بها إلا كل فارس تدرع لها بالعلم والحكمة، والصبر والمصابرة، وإلا لمن نذر لها وقته وفكره، وعقله وجهده، دون كلل أو ملل، ودون أن يكون على عجلة من أمره، أو شيء من هواه .

ويعد حذف حرف من بنية المفردة القرآنية خطأً ونطقاً من غير علة تقتضي ذلك أحد هذه الظواهر اللغوية والدلالية التي جاءت في كتاب الله تعالى؛ فقد كثرت مواضعه فيه كثرة لافتة، حتى جاوزت الثمانين موضعاً.

وكان من آثار كثرة هذه الظاهرة الدلالية في كتاب الله تعالى أن تنوع الحرف المحذوف في الكلمة، وتعاقب الحذف على جميع أجزاء بنيتها؛ فتارة يكون المحذوف من أول الكلمة، ومرة يقع المحذوف في وسطها، وأخرى يكون المحذوف من طرفها، وقد يكون المحذوف هو أحد حروف العلة، وقد يكون المحذوف حرفاً صحيحاً.

ومع كثرة هذه الظاهرة في القرآن وتنوعها إلا أنها لم تلق الاهتمام الجدير بها، ولم تنل حظها ونصيبها من الدراسة البلاغية المتخصصة على نحو يتواءم مع هذه الكثرة وهذا التنوع، أو على نحو ما نال غيرها من أنواع الحذوف الأخرى التي اشتهرت لدى دارسي البلاغة واللغة، عدا بعض إشارات جاءت عند المفسرين، وعدا بعض ما جاء

عند علماء علوم القرآن، كالزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، وعدا ما جاء عند بعض الباحثين المحدثين في البلاغة، من أمثال الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابيه: "التعبير القرآني"، و"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"، حيث تناول فيهما بعض هذه الألفاظ في معرض الموازنة بينها وبين نظائرها مما استوفت فيه الكلمة كل حروفها، دون حذف، ومن أمثال الأستاذ مصطفى عبد السلام أبو شادي في رسالته التي أعدها للماجستير بعنوان " الحذف البلاغي في القرآن الكريم"؛ حيث أشار فيها إلى هذا النوع من الحذوف، مكتفياً بنقل ما ذكره علماء علوم القرآن خاصة حول هذه الظاهرة، دون أن يكون له إضافة تذكر في هذا الشأن.

ومن أمثال الدكتور:ــ أسامة عبد العزيز جاب الله، في كتابه: "جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم" الذي عرض فيه لدراسة بعض جوانب من هذا النوع من الحذوف، وإن كان الجميع قد خلط فيها بين حروف المعاني وبعض الضمائر من جانب، وبين حروف المباني من جانب آخر.

وقد كان لكل هذه الدواعي والأسباب دور كبير في إثارة الاهتمام إلى تتبع هذه الظاهرة في كتاب الله ــ تعالى ــ واستقصاء مواضعها وأنماطها، ومحاولة الاقتراب منها؛ للتعرف على دواعيها ومناشئها، واستكناه بعض أسرارها ونكاتها؛ للوقوف على بعض وجوه الإعجاز والعظمة في هذا الكتاب العزيز؛ لذا شرعت في دراسة هذه الظاهرة، وأخذت في كتابة هذا البحث الذي جاء بعنوان: "حذف حروف المباني في القرآن الكريم . دراسة بلاغية في بنية المفردة القرآنية"؛ لعلي أحقق بعض هذه الغاية، وأبلغ الهدف المنشود، وأتدارك بذلك بعض ما فات البلاغيين في هذا الشأن، وأضيف لبنة أخرى إلى صرحهم الشامخ المتطاول، والله أسأل أن يكون من وراء القصد. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

على أنني قد قصدت من دراسة هذا الموضوع أمرين:

أولهما: أن أكشف – قدر الطاقة – عن جانب مهم من جوانب العظمة والإعجاز في القرآن لم يحظ بوافر عناية، ولم يلق كبير اهتمام؛ نظراً لصعوبة الدراسة فيه؛ لعمقه، وبعد غوره، وندرة ما كتب حوله قديماً وحديثاً، إذ لم تتوفر على بحثه دراسة مستقلة تعكف على تتبعه، واستقصاء صوره وأنماطه، حسبما أشرت إلى ذلك سلفاً.

هذا الجانب يتعلق في الأساس بالمفردة القرآنية التي خرجت في مبناها ومعناها على نحو فريد، ونمط متميز ذي طبيعة دلالية خاصة، ونسيج صوتي يعمق الإحساس بالمضمون، ويفي بالمعنى والغرض، ويلبي حاجة الموقف المصور، ويحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فإن

المفردة القرآنية ذات عطاءات واسعة، وإشعاعات فياضة تتفجر عنها في سياقاتها من النظم الكريم.

ثانيهما :ــ أن الرسم العثماني للمصحف الشريف في كثير من صوره وأشكاله على ما ذهب إليه كثير من العلماء(١) هو رسم توقيفي من عند الله، وليس للبشر حظ في تصوير كلماته، أو رسم حروفه، وقد نزل مع كل آية أو سورة أنزلت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛ لاستيعاب جميع وجوه المعاني، ومراعاة كل المقتضيات والأحوال، وذلك على نحو يتحقق به الإعجاز البلاغي والكتابي ــ إن صح هذا ــ، وقد أمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كُتابه من الصحابة أن يرسموه كما نزل.

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يجيء في مقدمة، وتمهيد، وستة محاور، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

- : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وضمنتها أسباب اختياره، وأودعتها الخطة التي تقوم عليها الدراسة، والمنهج المتبع في البحث.

- **التمهيد:** تحدثت فيه عن أنواع الحذف وأسبابه.

- **المحور الأول:** حذف ياء المنقوص في القرآن الكريم .

ويشتمل على صورتين: **الصورة الأولى:** حذف ياء المنقوص معرفاً.

الصورة الثانية: حذف ياء المنقوص منكراً(٢).

- **المحور الثاني :** حذف لام الفعل في القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاث صور:

الصورة الأولى : حذف الياء من آخر الفعل المضارع .

الصورة الثانية : حذف الواو من آخر الفعل المضارع .

الصورة الثالثة: حذف النون من آخر فعل الكون المضارع.

- **المحور الثالث:** حذف الألف من آخر "حاشا".

- **المحور الرابع:** حذف ألف "ها" التنبيه المتصلة بـــ"أي" في النداء.

- **المحور الخامس:** حذف وسط الكلمة في القرآن الكريم.

---

(١) وليس من شأن هذه الدراسة أن تتطرق إلى تفصيل الكلام في اختلاف العلماء حول الرسم العثماني للمصحف الشريف هل هو توقيفي من عند الله أو من صنع الصحابة وكتاب الوحي؟ وإنما قصدت من خلال هذه الدراسة أن أعضد رأي القائلين بالتوقيف.

(٢) ألحقت هذه الصورة بالبحث؛ نظراً لما يتعلق بها من الاعتبارات البلاغية الكثيرة التي ترتبط بالسياق والمقام، وإلا فإن الحذف فيها يجري على الأصل وجوباً، ومن علة صرفية خالصة.

ويشتمل على صورتين : **الصورة الأولى :** حذف تاء الافتعال.

الصورة الثانية: حذف اللام الأولى من "ظل".

– **المحور السادس:** حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع.

– **الخاتمة** : ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

١٠– فهرست للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يقوم ــ في الغالب ــ على حصر مواضع هذا النوع من الحذف في القرآن الكريم واستقصائها، ثم تصنيفها وتبويبها على حسب المحاور المنصوص عليها في خطة البحث، ثم تحليلها تحليلاً بلاغياً يقوم على استكناه أسرارها، واستبطان خوافيها؛ لاستخراج لألائها وجوهرها، والتعرف على وجوه بلاغتها، من خلال التوفيق والمواءمة بينها وبين القرائن سياقية كانت أم مقامية، وذلك على وجه ينبئ عن مدى مطابقتها لمقتضى الحال، ويصور موافقتها لطبيعة المواقف، وكل ذلك مما تتحقق به بلاغة الكلام، ويرقى به إلى درجة الإعجاز.

والله أسأل أن يعصمني من الزلل، وأن يرزقني السداد والتوفيق . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أ.د/ السيد أحمد أحمد موسى

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

"التمهيد"

ذكر العلماء أن الحذف في القرآن الكريم له عدة صور، منها: الاكتفاء، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر(١)؛ لنكتة ومعنى، كقوله ــ تعالى ــ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام : ١٣]، أي: وما تحرك، وإنما خص السكون بالذكر؛ لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد وأظهرها؛ ولأن كل متحرك يصير إلى سكون.

ومنها: الاحتباك، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول(٢)، وذلك كقوله ــ تعالى:ــ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾[الأحزاب:٢٤]؛ إذ التقدير:– ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم .

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي٣/١١٨ – تحقيق: د/ محمد متولي منصور، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م– مكتبة دار التراث–القاهرة.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٨٣١ – تحقيق : د/ مصطفى ديب البغا– الطبعة الثالثة ١٩٩٦م – دار ابن كثير – بيروت .

ومنها: الاختزال[1]، ويشمل حذف الكلمة، اسما كانت أم فعلاً، أم حرفاً، ويشمل –أيضاً– حذف الجملة، وشبه الجملة، كما يشمل حذف أكثر من جملة، وهذا النوع هو الذي ينصرف إليه مصطلح الحذف عند إطلاقه، وأكثر البلاغيين يقتصر في دراسته لهذا الباب عليه .

ومنها: الاقتطاع، وهو حذف حرف من بنية الكلمة، كأنه يشبه اقتطاع شيء من شيء؛ لأنه يقتطع فيه جزء من جسم الكلمة وهيكلها[2]، وهو الذي تقتصر عليه الدراسة في هذا المقام؛ لأن فكرتها قائمة عليه، وموضوعها متعلق به .

وقد أنكر ابن الأثير[3] وقوع هذا النوع من الحذف في القرآن الكريم، وهو مردود بما تقرر عند العلماء من وروده[4]، حيث جعل بعضهم منه الحروف المقطعة في فواتح السور، والتي يرمز كل حرف منها – حسبما ذهب إليه فريق منهم– إلى اسم من أسماء القرآن، وجعل بعضهم منه ما نودي نداء الترخيم في قوله – تعالى– في بعض القراءات: "ونادوا يامال" [الزخرف:٧٧] بحذف الكاف من آخره .

كما جعل بعضهم منه حذف همزة "أنا" في قوله – تعالى–:﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾[الكهف : ٣٨]؛ إذ الأصل "لكن أنا"، حذفت همزة "أنا" تخفيفاً، وأدغمت النون في النون.[5]

كما جعلوا منه – أيضاً– حذف ياء المنقوص معرفاً في كثير من المواضع، وغير ذلك من صور الحذف التي تندرج تحت هذا النوع مما سيتناوله البحث – تفصيلاً وتحليلاً–في محاوره وصوره المختلفة أثناء الدراسة.

ولعل الذي دفع ابن الأثير إلى هذا مع ظهوره ما ذكره ابن جني في المحتسب نقلاً عن أبي بكر، قال: "قال أبو بكر : حذف الحرف ليس بقياس؛ لأن الحروف إنما دخلت في الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي – أيضاً– واختصار المختصر إجحاف به"[6]،

---

(١) ينظر: المرجع نفسه ٨٣٣/٢ .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١١٦/٣ .

(٣) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير ١٠٦/٢ – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الأولى٢٠١٠م ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت .

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١١٧/٣ .

(٥) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦ه) ٤٠٣/٦ – تحقيق / أحمد محمد الخراط – دار القلم– دمشق .

(٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (ت:٣٩٢هـ) ٥١/١ ، وزارة الأوقاف –المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

وما ذكره ابن دريد لا تعلق له بما نحن فيه؛ لأنه إنما يقصد حروف المعاني، كحروف الجر وغيرها، وقد رد عليه في ذلك أيضاً.

ومما ينبغي التنبه له أن هذا النوع كغيره من أنواع الحذوف الأخرى؛ إنما يتم في إطار من الضوابط والمعايير اللغوية التي تحكمه، وتحدد مساره، حتى لا تكون اللغة عرضة للعبث، وحتى لا تفقد اللغة خاصية البيان والتواصل، ومن ثم اشترط العلماء[١] في هذا الحذف– كغيره– وجود قرينة تدل على المحذوف؛ لكي يكون اعتبار وجوده قائماً في المعنى، وهذه القرينة قد تكون – فيما نحن بصدده – هي الحركة المجانسة للمحذوف في الغالب، وقد تكون القرينة هي العرف اللغوي المطرد في استعمال الكلمة خطاً ونطقاً على نحو ما.

كما اشترطوا أن لا يؤدي الحذف إلى التباس لفظ بآخر مما يترتب عليه التباس في المعنى والمضمون، وأن لا يترتب عليه خروج الكلمة إلى صورة مرفوضة من صور الاستعمال؛ كأن يؤدي الحذف إلى تجاور حرفين ثقيلين، أو التقاء ساكنين، أو غير ذلك من الأنماط المرفوضة، ولذلك يقول ابن جني: "... وذلك أن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفاً، إما ضرورة أو إيثاراً، فإنها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويراً تقبله أمثلة كلامها، ولا تعافه ولا تمجه؛ لخروجه عنها، سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلاً أم زائداً، فإن كان ما يبقى بعد ذلك الحرف مثالاً تقبله مثلهم أقروه عليه، وإن نافرها وخالف ما عليها أوضاع كلمتها نقض عن تلك الصورة، وأصير إلى احتذاء رسومها"[٢].

على أن هذا النمط من الحذف سواء أكان قياسياً أم سماعياً يعد مزية من مزايا القرآن، ووجهاً من وجوه إعجازه، ووسيلة من وسائله التي يقصد إليها للإيحاء بمعنى معين، أو تصوير غرض ما، أو الوفاء بطبيعة المواقف والمقامات، ومراعاة مقتضيات الأحوال، وعوامل السياق، أو غير ذلك من الأسرار والنكات التي سوف تتكشف عنها هذه الدراسة في محاورها وصورها المختلفة .

كما يعد – أيضاً– وسيلة من وسائل القرآن التي يقصد إليها للتخفيف مما قد يعتري الكلمة المنطوقة من نوع ثقل؛ لعارض ما، كالحذف لكثرة الاستعمال، كما في حذف ألف "اسم" من الخط؛ تخفيفاً، وكالحذف كراهة التقاء الساكنين، وكالحذف

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ١/٢٦٥-٢٦٦ ، تحقيق/ عبد السلام هارون ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٩٠ ــ مكتبة المتنبي ــ القاهرة ـــ بدون تاريخ.

(٢) الخصائص لابن جني ٣/١١٢، تحقيق/ محمد علي النجار ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ القاهرة ٢٠٠٦م.

للوقف، كما في قوله:-﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر:٤]، وكالحذف من كراهة توالي الأمثال، وذلك كله مراعاة للتكافؤ والانسجام في بنية الكلمة الواحدة، وفي اتصالها بغيرها، حتى يجيء الكلام العربي على هيئة مخصوصة، وبنية موسيقية منسجمة[(١)].

(١) ينظر: التطور اللغوي والتاريخي للغة العربية . د/ إبراهيم السامرائي ، صـــ٧٣ ، دار الفكر ـــ دمشق.

" **المحور الأول** "

" **حذف ياء المنقوص في القرآن الكريم**

****

المنقوص: هو الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمة، قبلها كسرة، نحو: المرتقى، والداعي، والساعي، والقاضي، وغير ذلك كثير[(٢)].

وهذا التعريف الذي ذكره العلماء يخرج منه الفعل الذي آخره ياء مكسور ما قبلها، نحو: يرمي، ويقضي، ويخرج منه الاسم المبني الذي آخره ياء، نحو : الذي، والتي، كما يخرج منه –أيضاً– الاسم الذي آخره ياء ساكن ما قبلها، نحو: ظبي، وجدي.

وحكم المنقوص أنه يظهر على يائه حركة النصب؛ لخفتها، ويقدر فيها حركة الرفع والجر؛ للاستثقال[(٣)]، هذا إذا كان معرفاً، فإن كان منكراً ثبتت فيه الياء في حالة النصب، مع ظهور الفتحة عليها، وحذفت في حالتي الرفع والجر، وكانت الكسرة قبلها دليلاً عليها .

(٢) ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام المصري صـــ٩٧ ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٦٩/١ – تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع ٢٠٠٩م.

(٣)ينظر: شرح شذور الذهب لابن هشام ص٩٧

وبناءً على التقعيد السابق فإن حذف ياء المنقوص يأتي في القرآن على صورتين: الصورة الأولى: أن تحذف الياء من المنقوص معرفاً، والصورة الثانية: أن تحذف الياء من المنقوص منكراً، وقد وقع هذا وذاك في القرآن بكثرة، وعلى نحو لافت، وذلك من التقاء الساكنين، أو لغير التقاء الساكنين أصلاً(١).

وقد ذكر العلماء أن الحذف لغير التقاء الساكنين يقتصر فيه على السماع دون القياس؛ بسبب كثرة الاستعمال دون ما عداها(٢)؛ فإن كثرة الاستعمال تبلي الألفاظ، وتجعلها عرضة لقص أطرافها، وهذا ما نبه عليه غير واحد من العلماء، كالأخفش(٣)، والفراء(٤).

(١) وهذا النوع من الحذف هو الذي يدور حوله البحث في هذا المحور في المقام الأول؛ لخروجه عن الأصل في الاستعمال، ويأتي بحث الحذف لعلة من باب إتمام الفائدة؛ نظراً لما يتعلق به من اعتبارات بلاغية كثيرة.

(٢) ينظر: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي اليمني صـ٢٥٥ – تحقيق/ محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى ١٩٩٥م – دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش ١/١ ، تحقيق: د/ هدى محمود قراعة ، الطبعة الأولى ١٩٩٠- مكتبة الخانجي- القاهرة .

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/١-٢ ، تحقيق / أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجار ، الطبعة الأولى-بدون تاريخ- دار المصرية للتأليف والنشر .

" **الصورة الأولى** "

" **حذف ياء المنقوص معرفاً** "

****

إذا كان العلماء قد وجهوا هذا النوع من الحذف توجيهاً لغوياً خالصاً، وعللوا كثرة دورانه خطاً ونطقاً، إما تخفيفاً من كثرة الاستعمال، وإما تخفيفاً من التقاء الساكنين، على إجراء الخط مجرى النطق وقفاً ووصلاً فإنه من اللافت للنظر أن حذف ياء المنقوص في القرآن، سواء أكان من التقاء الساكنين أم تخفيفاً من كثرة الاستعمال يتفجر عن سيل من المعاني والأسرار البلاغية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموقف والسياق، وتتناغم في دلالاتها مع طبيعة المعنى والغرض المقصود، وتصوره على أكمل وجه وأتمه، وهذا ما يجعلنا نقرر ونؤكد أن الكلمة القرآنية كلمة بليغة، وأنها تجري على النسق البلاغي في مبناها ومعناها؛ لنخرج بها من هذا الإطار الضيق الذي درج عليه العرف البلاغي من حد البلاغة وحصرها في أنها لا تعدو أن تكون وصفاً للكلام والمتكلم دون الكلمة؛ فإن ما يتعلق ببنية المفردة القرآنية نفسها من الأسرار والنكات يخالف هذا العرف وينقضه.

وإنما بدأت من صور المنقوص في هذا المحور بما كان المنقوص فيه معرفاً بالألف واللام؛ نظراً لجريان الحذف فيه – خطاً ونطقاً- على خلاف الأصل المقرر

عند علماء العربية، وجريان الكلام على خلاف الأصل المقرر فيه، وخروجه على خلاف مقتضى الظاهر له تعلق وارتباط بالدرس البلاغي أكثر من ارتباط وتعلق غيره مما جاء على الأصل.

وهو كذلك أمس رحماً وألصق نسباً بقضيتي البحث عموماً، وقضيته الثانية التي يهدف إلى إثباتها وإقامة الدليل عليها خصوصاً، وهي أن الرسم العثماني في كثير من صوره وأشكاله على ما ذهب إليه كثير من العلماء رسم توقيفي من عند الله، نزل لاستيعاب كافة الملابسات السياقية التي تكتنف النص القرآني من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله.

وقد انتظم الحذف الذي يندرج تحت هذه الصورة في النسق القرآني ستة عشر موضعاً، وجرى على كلمات بعينها، هي ألفاظ:-" **الداعي، والمتعالي، والوادي، والبادي، والتلاقي، والتنادي، والجواري، والمنادي** "؛ حيث حذفت منها الياء خطاً ونطقاً؛ سماعاً، وعلى غير مقاييس النحويين وعلماء اللغة.

أما لفظة "**الداعي**" فقد وردت محذوفة الياء خطاً ونطقاً في ثلاثة مواضع، جاء الموضع الأول منها في قول الله – تعالى- : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦]، حيث حذفت الياء من "الداع"؛ تخفيفاً من كثرة الاستعمال، وليس من التقاء الساكنين، وذلك على الوجه الذي قرره العلماء[١].

لكن الذي يتأمل جملة " أجيب دعوة الداع إذا دعان " التي جاءت فيها الكلمة موضع البحث يجد أن من وراء الحذف داعياً ومقتضى بلاغياً من سياق الكلام ومقامه؛ فإن الآية الكريمة جاءت في سياق آيات تشريع الصوم من سورة البقرة، بعد إيجاب فرضيته، وتفصيل بعض الأحكام الشرعية المتعلقة به، وبعد الأمر بالتكبير الذي هو الذكر والشكر؛ لبيان نهاية لطف الله –تعالى– بعباده، والدلالة على سعة رحمته، وتقرير أنه قريب من العبد، وتأكيد أنه مطلع على ذكره وشكره، فيسمع نداءه، ويستجيب دعاءه، ولا يخيب رجاءه[٢].

وحذف الياء من آخر الكلمة المذكورة هو الذي يتسق في هذا السياق، وينسجم مع معطياته، ويفي بالغرض المقصود؛ إذ هو الذي يصور غاية اللطف، وينطق بسعة الرحمة، وينادي على شدة القرب المدلول عليه من قوله:-" فإني قريب"، والذي خرج مخرج التمثيل الذي جاءت الجملة موضع البحث تقريراً وتحقيقاً له[٣]؛ وذلك لدلالة

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٩٣/٣ ــ الطبعة الأولى ــ دار الغد العربي ــ مصر، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٧/٢ ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ــ مؤسسة التاريخ ــ بيروت.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٨٨/٣

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل

الحذف على سرعة الإجابة، وفرط الاستجابة وسهولتها، إذا رفعوا أيديهم يتضرعون إليه –سبحانه– ، ولو ذكرت الياء في آخر الكلمة لفات هذا المعنى، وخفتت دلالة القرب، لما في امتداد النفس بصوت الياء من إيحاء بتأخر اللطف، ودلالة على بطء الإجابة، وبعد الداعي.

ومن وجه آخر : فإن حذف الياء من آخر "الداع" هو الذي تقتضيه حال الداعين في شدة اللهفة، وغاية الشوق والتعطش إلى قبول الدعاء، واستجابة الرجاء؛ إذ يعمل الحذف على سرعة إطفاء هذا اللهيب، وري هذا الشوق المتعطش في القلوب؛ بدلالته على فرط تحقيق الرجاء، وسرعة قبول الدعاء؛ لما يحصل بالحذف من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في الأداء.

ومن وجه ثالث : فإن حذف الياء من آخر الكلمة هو الذي يحدث نوعاً من تجاوب الإيقاع، وتناغم الجرس بين عناصر النظم الكريم، خاصة بين الكلمة موضع البحث وبين الفعل من جنس مادتها اللغوية في قوله:" إذا دعان "؛ فقد حذفت من آخره ياء المتكلم التي تعد كلمة مستقلة برأسها، ولا شك في أن تحقيق الانسجام والتناسق بين عناصر البناء في النسق الكريم مطلب مهم، يقصد إليه لجذب النفوس، واستمالة الإصغاء إلى الكلام، وهذا من شأنه أن يعمل على تقرير المعنى، وتمكين المراد .

وهو الذي يهدهد من وطأة الثقل الكائن من تلاحق عدد من ياءات المتكلم وتتابعها في عدة كلمات من الآية الكريمة، وذلك في نحو: "عبادي– عني– فإني– لي– بي"، ولو ذكرت الياء في "الداع"، وكذا ياء المتكلم في الفعل من جنس مادته اللغوية لبطأ تواثب الأسلوب إلى القلب، وثقل سريانه في النفس؛ لأنه يقيد من حركة اللسان في النطق، وهذا ما لا تتحقق به مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وأخيراً فإن اقتطاع الياء من آخر الكلمة هو الذي تنسجم به دلالات الخصوصيات في النسق الكريم : خصوصية دلالة الفاء في جملة جواب الشرط "فإني" على سرعة التلبية، وفرط الإجابة، وخصوصية دلالة الحذف من آخر الكلمة على السرعة واليسر –أيضاً–؛ لما في الحذف من اختصار، وتجاوز عما لا فائدة من ذكره، والله أعلم .

والموضعان الثاني والثالث اللذان حذفت منهما الياء من كلمة "الداع" جاءا في سياق سورة القمر، في قوله سبحانه:–﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾[القمر:٦]، وقوله سبحانه:– ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر:٨].

وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٢٨٨/١، الطبعة الثالثة – ١٩٨٧م – دار الريان للتراث ، كما = =ينظر تفسير أبي السعود المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢٠١/١ – الطبعة الرابعة ١٩٩٤م – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

وحذف الواو من "يدع"، والياء من "الداع" في الآيتين الكريمتين، وإن كان تخفيفاً؛ وذلك على إجراء الكتابة مجرى النطق في "يدع"، أو على إجراء المعرف بالألف واللام في "الداع" مجرى المنون، فكما تحذف الياء مع التنوين في حالتي الرفع والجر تحذف مع الألف واللام[1]، إلا أن الحذف –إلى جوار ما سبق– هو الذي يحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال: مقتضى حال القيامة في الهول والشدة، والذهول والدهشة، والذي جاءت الآيات تصويراً له؛ لما في الحذف من تفخيم اليوم وتهويله وتعظيمه؛ " لدلالته – بما يحصل به من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في الآداء– على سرعة الدعاء، وسرعة إجابة المدعوين"[2]؛ بقرينة السياق نفسه من قول الله ــ سبحانه ــ "مهطعين إلى الداع"، أي : مسرعين إليه، مادي أعناقهم نحوه[3]؛ لأن هذا المعنى من لوازم الوقوع على وجه السرعة؛ لأنه يأخذ النفس على وجه مفاجئ، فلا يترك لها فرصة التفكر والتدبر، أو السيطرة على المشاعر والانفعالات .

وهو الذي يتناغم – من وجه آخر– مع مقام الإنذار والتخويف الذي يمثل المعنى المحوري الذي تدور عليه سورة القمر، ومع معاني التهديد والوعيد في الآيات الكريمة موضع البحث؛ فإن الأمر بالتولي في قوله: "فتول عنهم " ينبئ عن غضب شديد، ووعيد كبير؛ لما في الحذف من تفخيم الداعي وتعظيمه؛ بقرينة أنهم أجروا المعرف بالألف واللام في الحذف مجرى المنون، وإتباعهم رسم المصحف لحال النطق[4]، وهذا – من وجه– أبلغ في تفخيم يوم القيامة وتهويله، وأبعث – من وجه آخر– للخوف والرعب، والهول والفزع في نفوس الكافرين؛ لأنه يترك النفس في حالة من القلق والتوتر، والتفكير الدائم، والتخيل الدائب في نوعية الأمر المهدد به .

وثمت ما يقتضي الحذف من آخر الكلمة، وهو تحقيق نوع من التماثل اللفظي في النسق الكريم بين لفظة "الداع" وبين الفعل "يدع"؛ لتكون العين الناصعة آخرة كل منهما؛ لينعكس هذا التماثل على المعنى تفخيماً وتهويلاً زائداً، ولو ذكرت الواو من آخر "يدع"، والياء من آخر "الداع" لضاع هذا التماثل الذي يحصل به نوع من تناغم الجرس، وتناسق الإيقاع في النظم الكريم .

---

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٧٥/٨ ، الطبعة الثانية ١٩٩٠م، دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي١١٦٩/٢، تعليق: د/ مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م – دار ابن كثير – دمشق – بيروت .

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤٣٢/٤ .

(٤) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ١٧٥/٨ ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧١/٢٧ .

وأخيراً: فإن الحذف من آخر الكلمات المذكورة هو الذي ينسجم في دلالته على فرط السرعة والسهولة مع إيقاع السورة السريع المتلاحق؛ إذ يقرب من وقع الكلمات وخطوها داخل النسق الكريم؛ فقد نظمت سورة القمر من أولها إلى آخرها، وخرجت في قرائن قصيرة، ومقاطع مقتضبة تميل إلى الإيجاز والقصر، لتتعانق كل هذه الوسائل على تصوير الهول المحدق وتجسيد الخوف والرعب الشديد الذي يقترن بقيام الساعة؛ لتحقيق الغاية والهدف من السورة الكريمة، وإبراز المعنى المحوري الذي تدور عليه، وهو المبالغة في الإنذار والتخويف، والذي تمثل بصورة أكثر وضوحاً في مطلع السورة الكريمة:- ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[القمر:١]، وإيثار اسم الساعة دون غيره من بين أوصاف القيامة؛ فإن الأحداث والوقائع تمضي على وجه السرعة نحو الأجل المحدود، والنهاية المحتومة في الجنة أو في النار، ثم جاء استعراض ما حل بالأمم السابقة من هلاك ودمار؛ بسبب التكذيب واتباع الأهواء بين المطلع والنهاية تجسيداً وتكملةً له، ولو ذكرت الواو من "يدع"، والياء من "الداع" في الموضعين لفات هذا الانسجام، وقيد من حركة الإيقاع وسرعته داخل السورة الكريمة، والله أعلم.

وأما لفظة "المتعالي" فقد جاءت محذوفة الياء في موضع واحد من الكتاب العزيز، وذلك في قول الله -تعالى- ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩]، وقد ذكر العلماء أن إثبات الياء وقفاً ووصلاً، خطأً ونطقاً هو الأصل والقياس، وأن الحذف على خلاف ذلك، إلا أنه عربي كثير، لا سيما إذا وقع المنقوص في قافية بيت من الشعر، أو في فاصلة كلام منثور، وذلك على نحو ما جاء في الآية الكريمة، حيث وقعت الكلمة موطن البحث في فاصلتها(١).

وقد وجه بعض العلماء الحذف في هذا الموضع على أنه جار على جهة التخفيف؛ لثقل الياء الناجم عن الكسرة قبلها، وامتداد النفس بصوتها عند النطق بها(٢).

وذهب بعضهم إلى أن المسوغ الأهم في هذا الحذف هو رعاية الفاصلة، من حيث السياق الإيقاعي في توافقها مع نظائرها في الفواصل السابقة واللاحقة، ولو ذكرت الياء لانكسر هذا التناسق الإيقاعي، والتناغم الجرسي في الفاصلة انكساراً حاداً(٣).

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ١٨٥/٤ ، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٠٢/٩ .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير١٥١/١٢ ، والتفسير البياني للقرآن الكريم، د/ عائشة عبد الرحمن صـ٢٥١ ، الطبعة الرابعة١٩٩٠م – دار المعارف- مصر، كما ينظر جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، د/ أسامة عبد العزيز جاب الله صـ٢٨٩ ، الطبعة الثانية

ومع اعتبار هذين الوجهين، وقوتهما في التفسير إلا أن الحذف من آخر الكلمة في فاصلة الآية الكريمة هو الأقوى في مقام الرد على المشركين الذين اقترحوا نزول معجزة وآية تشبه آية موسى، وعيسى وغيرهما من الأنبياء، تثبت صدق النبي- صلى الله عليه وسلم- في دعواه، فكان ما اشتملت عليه الآية الكريمة من وصفه -تعالى- بكمال إحاطة العلم، وكمال الكبرياء والعلو من جملة ما أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقوله لهم، وأن يرد عليهم به .

وإنما كان حذف الياء من "المتعال" في فاصلة الآية هو الأبلغ في الرد، والأقوى من حيث المجابهة والدفع؛ لدلالته على الحسم والقطع، والبت على وجه لا يقبل المراجعة أو المجاذبة، بخلاف ما لو أثبتت الياء؛ فإن امتداد النفس بصوت مدها قد يوهم بأن ثمت مجالاً بإتاحة الفرصة لهم للأخذ والرد، والقبول والرفض.

وثمت ما يقتضي الحذف غير ما سبق، وهو أن اقتطاع الحرف من آخر الكلمة هو الذي يصور بجرسه، وامتداد النفس بمد الألف مفتوحاً ما قبلها قبل حرف الروي معنى العلو والارتفاع على نحو كبير ولافت؛ فإن العلو : ارتفاع وتطاول إلى أعلى[1]، والياء المكسور ما قبلها -بما تتسم به من صفة التسفل[2]- لا تنسجم مع هذا المعنى تمام الانسجام، فكان الحذف هو الذي يصور العلو والاستعلاء على كل شيء، أو التنزه عن نعوت المخلوقين؛ فإنه مما يستلزم العلو -أيضاً-، أما من أثبتها- في قراءة من قرأ[3]- فللدلالة بها على الرسوخ في هذا العلو، والامتداد فيه إلى ما لا نهاية، وأنه وصف ذاتي، لا عن اكتساب، ولا من غيره، والله أعلم[4] .

واللفظة الثالثة التي حذفت ياء المنقوص من آخرها هي كلمة "الوادي"، وقد جاء ذلك في أربعة مواضع من كتاب الله – تعالى-، أما المواضع الثلاثة الأولى فتتشابه في موردها إلى حد كبير؛ حيث جاءت في سياق قصة موسى -عليه السلام- من سورة

٢٠٠٩م – دار مكتبة الإسراء للطباعة والنشر

(١) إذ قد ترد "المتعالي" بمعنى "العالي" -أيضاً-، ينظر لسان العرب لابن منظور (علا) ٣٠٨٩/٤- دار المعارف ١٩٧٩م .

(٢) ينظر: دراسات في علم الصوتيات. د/ أبو السعود أحمد الفخراني صـ١٤٣ ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ـ مكتبة المتنبي ـــــ المملكة العربية السعودية.

(٣) ينظر: الكنز في القراءات العشر للواسطي أبي محمد ٥٢٢/٢ ، تحقيق : د/خالد المشهداني ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة .

(٤) لا تعارض ولا تناقض بين من قرأ بحذف الياء خطاً ونطقاً وبين من أثبتها نطقاً فقط؛ فلكل قراءة وجهها من المعنى، ولها اعتبارها من الناحية البلاغية، وإنما كان التوجه منصرفاً في المقام الأول إلى دراسة الحذف وبيان سره؛ لأنه صميم فكرة البحث وعين موضوعها.

طه في قول الله ــ تعالى ــ ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه :١١-١٢]، ومن سورة القصص في قوله – سبحانه-: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص :٣٠]، ومن سورة النازعات في قوله – سبحانه-: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [النازعات : ١٥-١٦].

وحذف الياء من الكلمة في الآيات الثلاث، وإن كان تخفيفاً من التقاء الساكنين – سكون الياء، وسكون اللام من كلمتي "المقدس والأيمن"- وذلك بسبب كثرة الاستعمال، إلا أن في الحذف نوعاً من طلب المسارعة إلى المقصود، وفرط مبادرة إلى المطلوب، وتعجيلاً بإضفاء معاني الفخامة والعظم، والقدسية والمهابة على هذا الوادي؛ من خلال نعته في الآية الأولى والثالثة بصفة "المقدس"، أي : المطهر؛ فإن هذا النعت هو في آية طه علة الأمر الموجه إلى موسى –عليه السلام- بخلع النعلين، لما أتى النار التي ذهب إليها للاقتباس منها، أو للاهتداء بضوئها، والمتقدم في قوله- سبحانه- "فاخلع نعليك"، وهذه وسيلة من وسائل تقرير المعنى وتوكيده؛ فإن علة الحكم هي برهانه المصحح له، ودليله المقتضي له في منطقه المستقيم .

وهو الذي بني عليه الأمر بالذهاب إلى فرعون في سورة النازعات في قوله :ــ ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [النازعات : ١٧] وترتب عليه، وفي هذا كله من التأكيد على احترام هذه البقعة وتعظيمها وتشريفها، والنداء على مراعاة قدسيتها ما لا يخفى على متأمل .

وقرينة هذا في الموضعين أن النداء كان على مرتين، أو أن التقديس كان كرة بعد كرة، بدليل قوله "طوى" في فاصلة الموضعين؛ فقد قيل: إنه كثني من الطي، مصدر لــ"نودي" أو لــ"المقدس"، والمعنى : نودي نداءين، أو المقدس مرة بعد أخرى[1]، ولا شك في أن تضافر كل هذه الوسائل وتعانقها في الآيتين مما يعمل على تقرير المعنى وتوكيده، وامتثال الأمر وتنفيذه على وجه السرعة؛ لأن هذا من تفخيم المنادى وتعظيمه، وإجلاله وتوقيره .

ومن خلال نعته في موضع القصص بصفة "الأيمن" أي : المبارك، فإن هذا الوصف –أيضاً- من موجبات امتثال الأمر الإلهي الوارد بعد ذلك في سياق الكلام في قوله سبحانه:- "وأن ألق عصاك"، وفي قوله –سبحانه- "اسلك يدك في جيبك – واضمم

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣/٥٥، وتفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/٢٢ ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

إليك جناحك"، وذلك على الوجه الذي سبق تحليله في الموضعين السابقين.

وأما حذف الياء من كلمة "الواد" في الموضع الرابع فقد جاء في ختام قول الله – تعالى– من سورة الفجر ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر : ٩] .

ولعل المقتضى الأهم الذي يعزى إليه حذف الياء من آخر "الواد" هو رعاية الفاصلة، حيث بنيت الفواصل السابقة من قوله ــ تعالى ــ:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾[الفجر:٦–٨]،وكذلك الفواصل اللاحقة من قوله– سبحانه– بعده ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ [الفجر:١٠–١٢] على حرف الدال، ولو اكتملت الكلمة، لتصبح "الوادي" بإثبات الياء لشكل هذا انكساراً حاداً في النسق الإيقاعي للفواصل، ومن ثم كان الحذف ضرورة للمحافظة على هذا التوافق والتناغم في النظم الكريم.

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن تعليل الحذف برعاية الفواصل في الآيات السابقة واللاحقة مستبد، ولا ينبغي لنا الالتفات إلى أثره؛ لأنه غير قائم في هذا المقام، كما أننا لو أردنا تفسير سياقات هذا الحذف فلابد من استقصائه في القرآن كله؛ للوقوف على المواضع كلها، تقول: "أفلا يكون القائلون بالحذف لرعاية الفواصل قد تعجلوا بمثل هذا القول في آية الفجر ونظائرها، محتكمين إلى قواعد اللغويين والنحاة في المعتل الآخر والمنقوص، حين ينبغي أن نرفض قواعدهم على ما يهدي إليه الاستقراء لكل مواضع الحذف والإثبات في الذكر الحكيم"(١).

ومع اتساق هذا الرأي مع أهمية الدور الذي يؤديه السياق عندما يعانق مثل هذه الظواهر إلا أننا لا يمكن أن نهمل مثل هذه الفنيات في تفسير جانب من جوانب وقوع هذه الظواهر اللغوية في القرآن، ومن دون الاكتفاء بهذه النظرة الجزئية التي تضيق عن استيعاب ما تحمله هذه الظواهر من شحنات دلالية تتسم في طبيعتها مع طبيعة السياق والمقام.

وانطلاقاً من ذلك، وتجاوزاً لهذه النظرة الجزئية وحدها، فإن حذف الياء ووقوع الدال فاصلة هو الذي يتوافق ــ بما يحمله من شحنات دلالية وسياقية دالة على القلق والشدة ــ مع مقام الإنذار والتخويف؛ لانسجامه ــ بسمة الدال السابقة ــ مع معاني الاضطراب والشدة التي دلت عليها الآيات، وتناسبه معها تناسباً تاماً.(٢)

وهو الذي يتطابق مع مقتضى حال

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم صـ٢٥١ ــ الطبعة السابعة ــ دار المعاف ــ مصر.

(٢) ينظر: الوقف في القراءات القرآنية د/ مجدي حسين ص١٦٧ ــ دار ابن خلدون – الإسكندرية ٢٠٠٢م.

ثمود؛ إذ يوحي بخبرتهم، وينادي على شدة تمرسهم، وخفة أيديهم في نحت الصخور، ويدل على فرط مهارتهم في فن النحت والتشكيل، وقرينة هذا من سياق الكلام؛ حيث أوثر من عناصر البناء ولبناته كلمة "جابوا" دون "نحتوا" أو "خرقوا" ؛ للدلالة على أن هذا الأمر قد صار لهم من كثرة امتهانه ومزاولته عادة وسجية، واكتسبوا فيه دربة ومهارة، وهذا ــ لا شك ــ له أثره وتأثيره في مقام الإنذار والتخويف، والتهديد والوعيد الذي جاءت الآية الكريمة في ظلاله، فإذا كانت ثمود بقوتها وشدتها، وخبرتها ودربتها في فن العمارة والنحت قد أهلكها الله، وصب عليهم من عذابه، بسبب طغيانهم وإفسادهم في الأرض، فكيف بمن هو دونهم في القوة والشدة، والخبرة والدربة، ولو لم تحذف الياء من آخر الكلمة لفاتت كل هذه الدلالات؛ لأن الذكر يؤدي ــ حينئذ ــ إلى ثقل الكلمة في النطق، وانكسار الإيقاع، وبطء حركته، وهو ما ينعكس سلباً على المعنى المصور.

وأخيراً: فإن مبنى النظم من حول الموضع الكريم في سورة الفجر قد خرج مخرج حذف الياء من الفواصل مما كان آخره كذلك؛ فقد حذفت الياء من الفعل "يسْرِ" في قوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ [الفجر: ٤] ، وحذفت ياء المتكلم من الفعل "أكرمن، وأهانن" في قوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴾ [الفجر: ١٥] ، وقوله: ﴿ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴾ [الفجر: ١٦]، فكان أن حذفت الياء من "الوادِ"؛ اعتباراً بالحذف حولها من نظائرها، وحيث كانت طبيعة الموقف تقتضي الذكر، كما إذا كان المقام مقام إظهار الحسرة والندم، كما في قوله: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٣،٢٤] أو مقام إكرام وامتنان، كما في قوله:﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٩،٣٠] كان الإثبات هو الأوفق بطبيعة هذه المقامات التي تقتضي إطناب العبارة وبسطة الكلام.

وأما لفظة "البادي" فقد جاءت محذوفة الياء في موضع واحد من القرآن، هو قول الله – تعالى:-﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ ﴾[الحج: ٢٥] وحذف الياء من المنقوص المعرف بالألف واللام يجري ــ كما ذكر العلماء ــ على غير قياس، وفي حال الوصل خاصةً، وإنما حذفت ــ هنا ــ إجراءً للوصل مجرى الوقف؛ تخفيفاً، أو أن الياء عوملت معاملة الحركات وألفات أواسط الأسماء فلم يكتبوها(١).

وأياً ما كان هذا الذي وجهوا به حذف الياء من آخر الكلمة إلا أنه لا ينبغي أن نقتصر في تحليله وتعليله في النظم القرآني

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٦٣/٦ ، والتحرير والتنوير ١٧٢/١٧ .

عند هذا الحد الذي لا يتجاوز الناحية اللغوية أو الشكلية، بل ينبغي أن يمتد النظر إلى ما هو أعمق من ذلك وأدق، وأن يستبطن خوافيه، ويحاول الكشف عن أثره في المعنى، ويبرز مدى انسجامه مع الغرض المقصود، ووفائه بطبيعة المقتضيات والأحوال، وحين يقصد البحث إلى ذلك يجد أن حذف الياء من آخر الكلمة هو الذي ينسجم مع طبيعة الموقف الذي نزلت فيه الآية الكريمة، ويلبي حاجة المعنى، ويفي بالغرض، ويصوره على أكمل وجه وأتمه؛ فإن "الباد" هو الطارئ الذي لا يلبث أن يرحل، وذلك في مقابلة "العاكف" وهو المقيم بالمكان، وحذف "الياء" والوقوف في آخر الجملة على حرف "الدال"، وما يحمله من شحنات سياقية ودلالية تنبئ عن القلق والاضطراب هو الذي يعكس قصر مدة المكث بالحرم، وينطق بأن الحاج أو المعتمر من غير أهل المكان لا يلبث أن يرحل ويمضي على وجه السرعة بعد أداء مناسكه، وهذا فيه ما فيه من المبالغة في تشنيع المشركين الصادين عن المسجد الحرام الذي هو الغرض من وصف "المسجد الحرام" بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾، وتقبيح فعلهم، والتشهير بجرمهم؛ فقد بلغ صدهم عن المسجد الحرام في الجرم الغاية، وأربى في القبح على النهاية التي ليس وراءها مطلب، حتى طال صدهم عنه من لا يلبث أن يرحل عنه سريعاً، وهو رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه؛ فإن الآية الكريمة نزلت في عام الحديبية حين صد المشركون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه عن المسجد الحرام؛ إذ لم يعلم لهم قبل ذلك صد لجمع إلا أن يراد صدهم لأفراد من الناس، فقد وقع ذلك في صدر البعثة(١)، وذكر الياء وإثباتها في آخر الكلمة لا يتناسب في هذا السياق بما فيه من امتداد النفس بصوت مدها، وإشباعه عند النطق بهاــ مع هذا المكث اليسير، فكان حذفها هو الأليق بهذا المعنى، الأكثر تصويراً للموقف.

ومن وجه آخر: فإن الحذف هو الذي يفيد فرط المبادرة إلى المطلوب، وسرعة الانتقال إلى المقصود؛ تعجيلاً بمساءة الكافرين الصادين في هذا السياق المفعم بمعاني التهديد والوعيد التي بدت في صورة أكثر وضوحاً في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ لأنه يتركهم في حال من الحيرة والتردد والذهول، ويفقدهم السيطرة على المدارك.

وفي الحذف ــ أيضاً ــ تعريض بالكافرين، وأنهم لا يستحقون بسكنى الحرم أدنى مزية على غيرهم ممن يأتي عليهم ممن لا يلبث أن يرحل مسرعاً، وذلك على الوجه الذي ينبئ عنه حذف الياء، ووضع "الباد" بإزاء "العاكف" وفي مقابلته، وجعلهما

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٦٢/٦، وأبو السعود ١٠٣/٦ .

سواءً[١].

كما أن الحذف ــ أيضاً ــ هو الذي يحصل به نوع من التناسب والتناسق في الشكل والهيئة بين "العاكف" و "الباد" من جهة، وبين "الباد" و"إلحاد" من جهة أخرى، وهذا التناسب والانسجام بين عناصر البناء في الشكل والهيئة مقصود إليه لجذب الأسماع، واستمالة الإصغاء إلى الكلام، والله أعلم.

وإذا انتقلنا إلى حذف الياء من كلمة "التلاقي" وجدناه يأتي هو الآخر في موضع واحد من القرآن هو قول الله ــ تعالى:ــ ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[غافر: ١٥] وذلك في مقام الإنذار والتخويف، والتحذير والترهيب من يوم القيامة؛ بنقل بعض المشاهد والأحداث التي تقع في ذلك اليوم الرهيب العصيب؛ فإن "يوم التلاق" هو يوم القيامة، وإنما سمي بذلك؛ قيل: لأن الخلائق تلتقي فيه، وقيل: لالتقاء أهل السماء وأهل الأرض فيه، وقيل: لالتقاء العابد والمعبود، وقيل غير ذلك[٢].

وحذف الياء من آخر "التلاق" هو الذي يتطابق ــ من وجه ــ مع مقام القيامة ومقتضى حالها؛ فمقامها مقام ضيق بسبب الكرب، وشدة البلاء، ونهاية الهول والفزع، ومقامات الضيق تتطلب وجازة اللفظ، واقتضاب العبارة؛ تفخيماً من شأنها، وتهويلاً من أمرها، وفي هذا من تقرير الإنذار وتأكيد التحذير ما لا يخفى على متأمل.

ومن وجه آخر: فإن حذف الياء، والوقوف على القاف هو الذي يصور شدة الهول، ونهاية الضيق والكرب، ويجسم معاني القلق والاضطراب والشدة التي يتسم بها هذا اليوم؛ لما في القاف من قلق واضطراب، وانفجار شديد عند النطق بها؛ لما تجمعه من "صفات الجهر والاستعلاء والشدة"[٣] التي تصعب النطق بها في المخارج، وخاصة في حال السكون، ومن ثم يقلقلونها لتخفيف ذلك.

على أن الوقوف على القاف بعد حذف الياء هو الذي ينطق بقصر مدة اللقاء، وينبئ عن وجازة وقته، وأنه لا يلبث أن يقع إلا ريثما ينتهي؛ لفرط هول الموقف، وذهول كل عن صاحبه؛ بقرينة قوله ــ تعالى ــ في سياق آخر:﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[عبس: ٣٤:٣٧]، ولو ذكرت الياء في فاصلة الآية، وما فيها من امتداد

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٧١/١٧

(٢) ينظر: الكشاف ١٥٦/٤، والبحر المحيط ٤٥٥/٧، وأبو السعود ٢٧١/٧

(٣) أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل صـــ١٥٧ ــ الطبعة الثالثة ١٩٩٣م ، ودراسات في علم الصوتيات د/ أبو السعود أحمد الفخراني صـــ١٤٩ ــ١٥٧ .

النفس وإشباعه عند النطق بصوتها لفات هذا المعنى، وربما وقع الوهم بطول اللقاء، وامتداد وقته، وهو ما يتنافى مع مقام القيامة وما فيها من أهوال وشدائد.

وأما كلمة "التنادي" مصدر تنادى القوم، أي: نادى بعضهم بعضاً، فقد حذفت الياء من آخرها في موضع واحد ــ أيضاً ــ وقد جاء ذلك في ختام قول الله ــ تعالى: ــ ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢] و"يوم التناد" هو يوم القيامة، سمي بذلك؛ لأن الخلق ينادي بعضهم بعضاً؛ للاستغاثة، أو يتصايحون بالويل والثبور، أو يتنادى فيه أصحاب الجنة وأصحاب النار(١).

وحذف الياء من آخر الكلمة هو الذي يحقق تناغم الجرس وتناسق الإيقاع وانسجامه في الفواصل السابقة واللاحقة، ولو جاءت الكلمة على الأصل، وذكرت الياء لانكسر هذا الإيقاع الموجود في الفواصل انكساراً حاداً، وذهب التناسق، وذهب التناغم بالكلية.

ثم إن الحذف هو الذي يتطابق في مقام الإنذار والتخويف مع مقتضى حال هذا الرجل المؤمن من آل فرعون، والذي ما فتئ يجادل قومه، وينذرهم، ويخوفهم من مغبة التكذيب والعناد، ويظهر حرصه، ويعلن خوفه عليهم في يوم التناد، وهو يوم القيامة، وما فيه من شدائد وأهوال، حيث لا عاصم لهم من الله، ولا نجاة لهم منه؛ إذ يصور الحذف مدى الضيق الذي يثقل كاهله، ويبرز شدة الانفعال والغضب الذي ملأ صدره حيال قومه في الإصرار على الكفر والطغيان، ومقامات الضيق من المقامات التي تجنح فيها النفس البشرية إلى الإيجاز، واقتضاب العبارة، لهدهدة التوتر والانفعال، وتخفيف الثقل والضيق الجاسم على الصدر؛ بسبب الغضب والحزن.

كما أن الحذف هو الذي يصور تداخل الأصوات واختلاطها، واضطرابها في هذا اليوم الرهيب، ويعكس ما يتسم به يوم القيامة من فرط الشدة والهول، والقلق والاضطراب، وهذا من آثار اهتزاز الجهاز الصوتي واضطرابه عند النطق بالدال ساكنة؛ لثقلها بسبب اجتماع الشدة، والجهر، والاستعلاء في صفاتها، فيضطر إلى قلقلتها نحو الحركة؛ للتخفيف من صعوبتها وثقلها في المخارج؛ لتتعانق كل هذه الوسائل والأسباب على الترقي في درج الإنذار والتخويف إلى غايته، والوصول إلى نهايته، والله أعلم.

وأما حذف الياء من "الجواري" فقد جاء في ثلاثة مواضع من الكتاب العزيز، هي قول الله ــ تعالى:ــ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرحمن:٢٤] ، وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾[التكوير: ١٥،١٦]

(١) ينظر: الكشاف ١٦٥/٤ ، والبحر المحيط ٤٩٤/٧ ، وأبو السعود ٢٧٥/٧.

والمراد بـــ"الجوار" في موضعي الشورى والرحمن: هي السفن الجواري في البحر، والمراد بها في آية التكوير: النجوم السابحات في الفضاء، حذف الموصوف في المواضع الثلاثة، وأقيمت الصفة مقامه؛ مبالغة في جريها، وتأكيداً على خفتها، وشدة سرعتها.

وقد ذكر العلماء أن إثبات الياء في آخر الكلمة في الآيات الثلاث هو الأصل؛ لأنها معرفة بالألف واللام، وأن الحذف يجري على خلاف الأصل، ومن ثم جاءت القراءة بالوجهين معاً(١).

وحذف ياء المنقوص من آخر "الجوار" هو الأوفق ــ في آية الشورى ــ بمقام الاستدلال على طلاقة القدرة الربانية التي جاءت الآية الكريمة في سياقه؛ ابتداءً من قوله سبحانه:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآيات [الشورى: ٢٩: ٣٠]؛ لما ينطق به الحذف من ظهور الحجة، وقوة الدليل، وصدق البرهان؛ وصولاً إلى الإقناع والتأثير، والتقرير والتأكيد.

وهو الذي يتطابق ــ في آية الرحمن ــ مع مقام الامتنان والتفضل، والتذكير بنعم الله ــ تعالى ــ على عباده، وهو المعنى المحوري الذي تدور عليه سورة الرحمن؛ لما ينبئ عنه من دلالة السرعة في تحقيق كثير من المنافع والمصالح التي تتعلق بمعايش الناس، وسائر شئونهم.

وهو الذي ينسجم ــ في آية التكوير ــ مع مقام الرد على المشركين، وبيان بطلان افترائهم، وزيف ادعائهم في حق القرآن، وحق المنزل به، وحق المنزل عليه، في قوله سبحانه:﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [التكوير: ١٥:٢٧]؛ لدلالته على قوة الرد، وشدة الحسم، وسرعة المجابهة.

وإنما جاء الحذف متناغماً مع مقامات الآيات الثلاث؛ لأنه الذي يصور ــ بما يحصل به من خفة الكلمة في النطق وسهولتها في المخارج ــ خفة السفن الجواري وسرعتها على سطح الماء، مع كونها في نفسها في غاية الثقل، وذلك في آيتي الشورى والرحمن، وخفة النجوم الجواري، وفرط سرعتها في الفلك الفضاء، مع عظم كثافتها، وثقل جرمها في آية سورة التكوير.

ومن وجه آخر: فإن الحذف هو الذي يتناغم مع إخراج الكلام في آيتي الشورى والرحمن مخرج التشبيه؛ بإلحاق السفن بالجبال في العلو والارتفاع، وكذلك الشأن مع النجوم الجواري في آية التكوير؛ لارتفاعها، وعلوها، وبعدها في الفضاء الواسع على نحو يصعب إدراك البشر له،

---

(١) ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد صـــ٥٨١ ــ تحقيق/ د. شوقي ضيف ـــــ دار المعارف ـــ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـــ.

أو تصورهم حقيقته؛ فإن ما في الياء من صفة التسفل، ولزوم كسر ما قبلها لا يتناسب مع دلالة العلو والارتفاع.

ومن وجه ثالث: فقد خرج النسق الكريم مخرج الإيجاز والتخفيف؛ بحذف الموصوف في الآيات الثلاث، وإقامة الصفة مقامه؛ مبالغة؛ بدلالة قرينة السياق من قوله في الآية الأولى والثانية: "في البحر"، وقوله في الآية الثالثة: "الخنس"، و "الكنس"، وقوله في مطلع السورة: "إذا النجوم انكدرت" فكان أن حذفت الياء في المواضع الثلاثة تحقيقاً للتوافق بين دلالات الخصوصيات في النظم الكريم؛ خصوصية حذف الكلمة، وخصوصية اقتطاع جزء من بنية الكلمة.

على أن حذف الياء من "الجوار الكنس" في آية التكوير هو الذي ينسجم في دلالته على الجري في سرعة، ويسر وسهولة مع ما توحي به "الخنس" ، و"عسعس" في النسق الكريم من دلالة وإيحاء؛ فإن اجتماع الهمس والرخاوة في صفة السين من الكلمتين، وما وراءه من لين وسهولة يوحي بأن اختفاء النجوم الخنس عن الأنظار، وغيابها عن العيون نهاراً، وأن إقبال الليل بظلامه أو إدباره ــ على حسب اختلافهم في دلالة "عسعس"[1] ــ مما لا يكاد أن يشعر به؛ ليسره وسهولته، والله أعلم.

ويأتي في ختام الأسماء المنقوصة المعرفة بالألف واللام، والتي حذفت منها الياء كلمة "المنادي" في قول الله تعالى:ــ ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[ق: ٤١].

وحذف الياء في هذا السياق هو الذي يقتضيه مقام تفخيم اليوم وتهويله، ويتطابق مع مقصود الآية الكريمة من تعظيم شأن المخبر به، والمخبر عنه[2]؛ لدلالته ــ بسبب ما يترتب عليه من خطف اللسان الكلمة عند النطق بها ــ على شدة قرب الصوت، وفرط سرعته، وندائه على نهاية قوته؛ بقرينة سياق الكلام من قوله في إثره مباشرة: "من مكان قريب"، وقوله ــ أيضاً:ــ "يوم يسمعون الصيحة بالحق"، فإن هذه القرائن المذكورة تدل على أن الصوت قد بلغ في كل ما سبق الغاية القصوى التي لا يكتنه كنهها، ولا يتأتى تصورها.

كما أن الحذف بدلالته السابقة إلى جانب وصف مكان النداء بالقرب، وعدم تعيين جهة صدور الصوت وتحديدها ــ هو الذي ينسجم مع ما في النسق الكريم من معاني التهديد والوعيد للكافرين[3]؛ لأنه أدخل للرعب في القلوب، وأبعث للخوف والفزع في النفوس،

---

(١) ينظر: كتاب الأضداد لابن الأنباري صـــ٣٢ تحقيق/ محمد إبراهيم الدسوقي ــ دار الطلائع ٢٠١٣م، وروح المعاني ٢٦٢/١٥ ــ تحقيق/ علي عبد الباري عطية ـــ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣٩٣/٤ .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١٦٩/٥ .

وأقوى في الزجر، وأبلغ في التهديد والوعيد؛ لأنه يترك النفس تذهب في تصوره، والتفكير في كنهه كل مذهب ممكن.

وهو الذي يصور ــ بسبب اضطراب اللسان، وانحباس النَفَس عند النطق بالدال الشديدة المجهورة أولاً، ثم انفجاره بصوتها ثانياً ــ مدى الضيق الجاسم على الصدور، ويجسد شدة القلق والتوتر المسيطر على الوجدان، بسبب ما يقع في هذا اليوم العصيب الرهيب من أحداث، وشدائد وأهوال، تضيق معها النفوس، وتطيش منها العقول، ويتمنى الناس الخلاص من الموقف ولو إلى النار، ومقامات الضيق يجنح فيها إلى الإيجاز، تخفيفاً من هذا الثقل، وهدهدة لهذا التوتر، وخروجاً من حالة اليأس والقنوط المهيمن على النفوس.

وهو الذي يحقق نوعاً من توافق دلالات الخصوصيات في النظم الكريم؛ خصوصية حذف الكلمة، وهي مفعول فعل الأمر من الاستماع:ــ "واستمع" الذي يحتمل عدة تقديرات، حسبما أشار إلى ذلك المفسرون[1]، وخصوصية اقتطاع حرف من آخر الكلمة، وهي الإيجاز والتخفيف، وهما خصيصتان تتناغمان مع مقام الضيق، وذلك على الوجه الذي سبق تفصيله.

وأخيراً: فإن الحذف هو الذي يحدث نوعاً من تناغم الجرس، وتناسق الدلالة بين الكلمة موضع البحث، وبين الفعل المضارع "يناد" من المادة نفسها؛ فقد حذفت الياء منه هو ــ أيضاً ــ خطاً ونطقاً؛ لتكون الدال الشديدة المجهورة في آخرة كل منهما.

الصورة الثانية

"حذف ياء المنقوص منكراً"

****

تحذف ياء الاسم المنقوص المنكر وجوباً؛ لعلة صرفية؛ هي التخفيف من التقاء الساكنين ــ سكون الياء بعد حذف حركتها ضمة أو كسرة، وسكون التنوين ـــ؛ وذلك بسبب كثرة الاستعمال، وقد وقع هذا الحذف في خمس عشرة لفظة قرآنية[2]، جاءت موزعة على خمسة عشر موضعاً من الكتاب العزيز.

وقد يقع في الوهم للوهلة الأولى أن هذا النوع من الحذف لا يرتبط به من الأسرار والنكات البلاغية ما يرتبط بالحذف في الصورة السابقة؛ نظراً لجريان الحذف فيه على الأصل، وأن داعيه فيه هو داع لغوي خالص، وتلك مسألة سبق أن نوهت بها، وذكرت أن ما يتعلق بهذا النوع من الحذف وسابقه من الأسرار والنكات البلاغية التي تأتي متناغمة مع سياق الكلام، ومتطابقة مع طبيعة المواقف والمقامات، وملبية لحاجة المعنى والغرض المقصود

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣٩٣/٤، وروح المعاني للآلوسي ٣٣٤/١٣.

(٢) هذه الألفاظ هي ألفاظ: "حام ــ آت ــ غواش ــ عال ــ ناج ــ هاد ــ وال ــ واق ــ باق ــ مفتر ــ قاض ــ زان ــ فان ــ آن ــ دان" .

يجعلنا نقرر في طمأنينة تامة بلاغة المفردة القرآنية في جوانبها المتعددة، وذلك على خلاف ما جرى عليه العرف البلاغي، وأن البلاغة كما تكمن في خروج الكلام على خلاف الأصل تكمن أيضاً في جريان الكلام ومجيئه على الأصل الموافق للقواعد النحوية والصرفية.

أما اللفظة الأولى التي حذفت الياء من آخرها وهي كلمة "حام" فقد جاءت في قوله ــ تعالى : ــ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٣]

والناظر في هذه الأصناف الأربعة المذكورة في الآية الكريمة، والتي وقع النفي عليها مؤكداً؛ لدخول "من" على النكرات في سياق النفي، وهي "البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي" يجد أن ياء الصنف الرابع منها قد حذفت من بنية الكلمة؛ إذ الأصل قبل الحذف " ولا حامي "، التقى ساكنان، سكون الياء بعد حذف حركتها، أو نقلها إلى الذي قبلها، وسكون التنوين، فحذفت الياء تخفيفاً من التقاء الساكنين، ولو بقيت الياء في آخر الكلمة فقيل: "ولا حامي" لأدى ذلك إلى ثقلها في النطق غاية الثقل.

والحامي: هو الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود، قيل: عشرة أبطن، فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حام، أي: حمى ظهره، فيترك فلا ينتفع منه بشيء، ولا يمنع من ماء ولا مرعى، وقيل: هو الذي طال مكثه عندهم(١).

وقال الفراء: لا يسمى حامياً إلا إذا لقح ولد ولده، وإنما أطلقوا عليه هذا الاسم؛ لأنه قد حمى وبره، فلا يجز له وبر، ولا يمنع من مرعى، وهذان المعنيان المذكوران آخراً هما من لوازم المعنى الأول(٢).

وحذف الياء من آخر الكلمة إلى جانب أنه يمثل وجهاً من وجوه التخفيف في النطق إلا أنه هو الذي يقتضيه مقام الآية الكريمة التي جاءت في سياقها بعدما نهى الله ــ تعالى ــ عن سؤال ما لم يأذن في السؤال عنه، ولا كلف أحداً بذلك في قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ الآية [المائدة: ١٠] رداً وإبطالاً لما ابتدعه أهل الجاهلية واختلقوه من أشياء ليست مشروعة من الله؛ حيث كانوا إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها، أي: شقوها، وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعيى لم يركبها، واسمها البحيرة، وكان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وقيل: كان الرجل إذا

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ــ حمى ١٠١٦/٢ ، وأبو السعود ٨٦/٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٢٢/١ ــ تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار ــ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ــ دار المصرية ــ الطبعة الأولى .

أعتق عبداً قال: هو سائبة، فلا عقل بينهما ولا ميراث، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن، قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى(١).

وهو الذي يتطابق من وجه آخر ــ مع مقتضى حال المخاطبين الذين سألوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن هذه الأصناف المذكورة، فقد روى ابن عباس أن ناساً سألوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن البحيرة والسائبة ونحوها مما كان عليه أهل الجاهلية، هل تلحق بأحكام الكعبة؟ فنزلت هذه الآية الكريمة جواباً عن سؤالهم(٢).

وإنما كان الحذف على هذا النحو من موافقة المقام، ومطابقة مقتضى الحال؛ لأن فيه تعجيلاً بالرد، وإسراعاً إليه، وفرط مبادرة إلى المقصود الذي تتعلق به نفوس السائلين ــ على ما جاء في أسباب النزول ــ، وهو قوله ــ تعالى: "ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون"؛ لتقرير افترائهم، وتأكيد غاية جهلهم، وقرينة هذا من سياق الكلام؛ حيث افتتح الله هذه الآية بقوله: "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ..." الآية؛ ليكون الجعل المنفي ــ هنا ــ في مقابلة الجعل المثبت هناك في قوله تعالى: "جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ..." الآية [المائدة: ٩٧](٣)

ومن وجه آخر: فإن حذف الياء من آخر الكلمة هو الذي يحصل به نوع من التوافق والتناغم؛ فقد جاءت الكلمة في نسقها رابعة أربعة أصناف ما شرع الله تحريمها، ولا كلف بذلك أحداً، وهي البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي، وجاءت سابقاتها، وهي الثلاثة الأولى منكرة منونة، فكان أن جاءت هي الأخرى على هذا النحو من التنكير والتنوين؛ لتحقيق هذا الانسجام والتلاؤم، وهذا لا يتأتى إلا بحذف الياء.

واللفظة الثانية التي حذفت الياء من آخرها هي "آت" في قوله ــ تعالى:﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٤]، وقوله تعالى:﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥].

والحذف من آخر الكلمة في الموضعين جاء في إطار القاعدة المشهورة التي تقرر

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٦٨٥/١، وأبو السعود ٨٦/٣ .

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي ٢١١/١ تحقيق/ عصام بن عبد المحسن الحميدان ــ الطبعة الثانية ١٩٩٢م ــ دار الإصلاح ــ الدمام، والبحر المحيط ٣٣/٤ ، والتحرير والتنوير ٢٣٦/٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣٦/٥

أن كل اسم منقوص، مخفوض أو مرفوع لحقه التنوين حذفت الياء من آخره رسماً ونطقاً[1]، وقد تم هذا في دائرة التخلص من التقاء الساكنين، خاصة الضمة على ياء المنقوص؛ حيث استثقلوها في الياء فحذفوها، فسكنت الياء، فسقطت؛ لسكونها وسكون التنوين[2] .

ومع جريان الحذف على الأصل إلا أنه الذي يقرر المعنى، ويحقق الغرض المقصود من الكلام؛ إذ هو الذي يصور ــ في الموضع الأول ــ ويعكس كمال قدرة الله تعالى ــ في إنفاذ وعيده، ويقرر كمال غناه عن خلقه، المدلول عليه من سياق الكلام في قوله:﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ الآية [الأنعام: ١٣٣].

كما يصور ــ في الموضع الثاني ــ كمال قدرة الله تعالى ــ أيضاً ــ في إنفاذ وعده ووعيده، إذا كان الخطاب موجهاً إلى المؤمنين؛ بدلالة إيثار فعل الرجاء في الآية نفسها في قوله ــ سبحانه:ــ " من كان يرجو لقاء الله ..." فإن هذا لا يكون إلا من المؤمنين.

أو كان الخطاب موجهاً إلى الكافرين؛ بقرينة سياق الكلام من قوله ــ تعالى ــ في الآية السابقة: ــ ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤].

وإنما كان ذلك كذلك؛ لدلالة الحذف على سرعة تحقق الوعد أو الوعيد، وفرط وقوعهما، ونهاية القوة في إنفاذهما؛ لإيحائه بكمال يسرهما، وتمام سهولتهما على الله ــ تعالى ــ؛ بتصوير الوعد أو الأجل بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب، حسبما يعرب عنه قوله في فاصلة الموضع الأول:ــ "وما أنتم بمعجزين"، أي: بفائتين ذلك، وإن ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول، وقوله قبل الموضع الثاني:ــ "أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون"[3].

ومن وجه آخر: فإن الحذف هو الذي يتناغم مع ما تفيده الآيتان الكريمتان من تهديد ووعيد؛ بدلالة قوله تعالى في فاصلة الموضع الأول:- "وما أنتم بمعجزين"، وقوله في فاصلة الموضع الثاني:ــ "وهو السميع العليم"؛ لأنه الأقوى تهديداً، والأبلغ وعيداً؛ بما يترتب عليه من توفر عنصر المفاجأة والمباغتة التي هي من لوازم السرعة والقوة، ومما لا شك فيه أن الإتيان على هذا النحو المباغت في القوة والسرعة

(١) ينظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني صـــ٤٢ ــ مكتبة الكليات الأزهرية ــ القاهرة ١٩٧٨م.

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري صـــــ٢٣٤ ـــــ تحقيق/ محيي الدين عبد الرحمن رمضان ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م.

(٣) ينظر: أبو السعود ١٨٨/٣، ٣٠/٧ .

يكون أشد على النفس وأصعب، وأنكى وأخزى؛ إذ لا يتيح فرصة التدارك، أو تصحيح المواقف، ولا يمكن العقل من سوانح التفكير، واتخاذ التدابير، بخلاف الإتيان على مهل، أو على نحو متدرج، والذي قد يدل عليه ذكر الياء.

كما أن الحذف في الموضعين هو الذي يتناغم ــ أيضاً ــ مع دلالة مادة الإتيان نفسها على المجيء بيسر وسهولة؛ إذ يصور هذا اليسر على الوجه الأكمل، ويقرر هذه السهولة ويؤكدها.

على أن الحذف هو الذي يحقق في موضعه تناسق دلالات الخصوصيات؛ خصوصية اسم الفاعل من مادة الإتيان موضع البحث نفسها، وإيثار صيغته على صيغة المستقبل، وما وراء ذلك من دلالة على كمال قرب الإتيان، والإيذان بحصوله، وخصوصية الجملة الاسمية: " وما أنتم بمعجزين" في الموضع الأول[1]، وكذا خصوصية دلالة إنكار السبق في قوله: "أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا" في الموضع الثاني؛ فإن هذا وذاك لا يتأتيان إلا إذا كان الإتيان في الموضعين حاصلاً على وجه السرعة والقوة المفرطة، وهذا ما يجسده حذف الياء في الموضعين.

واللفظة الثالثة التي حذفت الياء من آخرها هي: "غواش" في قول الله- تعالى:- ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[الأعراف: ٤١]، وحذف الياء من الكلمة وإن كان لعلة صرفية؛ حيث إن الكلمة في موضع المبتدأ، والمجرور خبرها، وأصلها ألا تنصرف؛ لأنها على فواعل كـــ"سلاسل" في ترك الصرف إلا أن التنوين دخلها عوضاً من ذهاب حركة الياء المحذوفة، فلما التقى ساكنان، سكون الياء ــ لثقل الضمة عليها ــ والتنوين حذفت، فصار التنوين تابعاً للكسرة التي كانت قبل الياء المحذوفة[2]؛ إلا أن الحذف لا ينفك عن أثر في المعنى والمقام؛ إذ هو الذي يصور الهول المحدق بالكافرين في نار جهنم، وإطباق النار عليهم إطباقاً كاملاً، ومن كل اتجاه، وعلى وجه السرعة والقوة، وذلك حسبما تصوره حركة التنوين المكسورة التي يخطفها اللسان خطفاً سريعاً، وما يتوارى خلفها من معاني التفخيم والتهويل التي تتطابق مع مقتضى حال المكذبين المستكبرين، وتتوافق مع مقام الإنذار والتخويف؛ ببيان ما أعده الله لهم يوم القيامة من صنوف العذاب، وضروب العقاب في جهنم بعد إقناطهم من رحمته، وتيئيسهم من عفوه ومغفرته، بتقرير أنهم لا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة، حتى يلج الجمل في سم الخياط، فإنه الأبلغ إنذاراً

(١) ينظر: أبو السعود ١٨٨/٣.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ٣١٥/١ ـــ تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن ــ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ــ مؤسسة الرسالة ـــــ بيروت.

وتخويفاً، الأقوى تهديداً ووعيداً.

على أن حذف الياء من آخر الكلمة هو الذي يحصل به التقابل التام بين كلمتي "مهاد، وغواش" في النسق الكريم، فقد خرجت لفظة "مهاد" في قوله: "لهم من جهنم مهاد" مخرج التنكير والتنوين، فكان أن خرجت "غواش" في قوله: "ومن فوقهم غواش" هذا المخرج ــ أيضاً ــــ؛ تحقيقاً للتقابل التام بين الكلمتين، شكلاً ومضموناً، إيقاعاً وجرساً، وهذا التقابل ينعكس إيجاباً على الوفاء بالغرض، وتلبية حاجة المعنى؛ إذ يصور إطباق النار عليهم إطباقاً تاماً، وإحاطتها بهم من كل جانب، من فوقهم ومن تحتهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ويعكس سوء الحال والمآل، وفرط الهول والكرب المحدق بهم على أكمل وجه وأتمه.

أما اللفظة الرابعة، وهي "عال" فقد جاءت في موضع واحد، هو قول الله ــ تعالى: ــ ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣].

وحذف الياء من آخر الكلمة، وإن أوجبه التقاء الساكنين؛ تخفيفاً فإنه الذي يتطابق مع مقام بيان علو فرعون في الأرض، والذي جاءت له الآية الكريمة في سياقها من قصة موسى وفرعون من سورة يونس، وتشنيع غلوه في الشر والفساد، والتسلط على البلاد والعباد، وما ترتب على ذلك من قلة عدد المؤمنين بموسى ــ عليه السلام ــ وخوفهم ــ في الوقت ذاته ــ من فرعون وملئهم أن يفتنوهم في دينهم[1]؛ فإن الحذف هو الذي يجسد استطالة اللعين، ويصور مدى طغيانه، وشدة عتوه وبغيه، وجبروته؛ إذ ينافي صوت الياء وحركتها مكسورة، وما يجتمع فيها ــ لأجل ذلك ــ من صفات الرخاوة والتسفل مادة العلو والارتفاع، ودليل هذا من تعويض التنوين بدلاً منها، وما ينطق به من معاني الفخامة والعظم، والضخامة والكبر التي تتلاءم مع مادة العلو والارتفاع.

وهو الذي يقتضيه ــ من جانب آخر ــ مقام تسلية النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتأنيسه، وبث الثقة والطمأنينة في قلبه بإيراد هذه القصص؛ لأنه كان يغتم بسبب إعراض القوم عنه، وإصرارهم على الكفر والتكذيب، فبين له أن استطالة اللعين فرعون، وعلوه في الأرض كان أظهر، وأن طغيانه وجبروته كان أوسع وأشمل، وذكر أن له بسائر الأنبياء أسوة ومثلا؛ لأن الذي ظهر من موسى ــ عليه السلام ــ كان في رأي العين أعظم، ومع ذلك فما آمن له إلا ذرية من قومه، على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنوهم في دينهم، ويصدوهم عن

---

(١) ينظر: البيضاوي ١٢١/٣ ـــ تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي ـــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٨ه، وأبو السعود ١٧٠/٤.

الصراط المستقيم[١]، وهذا ما يمثل حذف الياء من آخر الكلمة جانبا منه، ويصوره على أكمل وجه وأتمه، وذلك على النحو الذي سبق تفصيله وتحليله.

وهو الذي ينسجم – أيضًا – مع وقوع الجملة موضع البحث في سياقها موقع العلة، والسبب من قوله – تعالى–: "فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم"، فهي مؤكدة ومقررة لمضمونها على وجه الاعتراض التذييلي[٢]، والحذف – أيضًا – مقرر ومؤكد لما عليه فرعون من فرط العلو، ونهاية الفساد حسبما سبق تفصيله، والله أعلم.

وأما كلمة "ناج" فقد جاءت هي – أيضًا– في موضع واحد هو قول الله – تعالى– في سياق قصة يوسف – عليه السلام – وصاحبي سجنه:﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف: ٤٢].

وحذف ياء المنقوص في هذا الموضع هو الذي يقتضيه مقام ضيق يوسف – عليه السلام – بسبب السجن، وذلك على حد قول الشاعر: "فإني وقيار بها لغريب"[٣]؛ فإن النفس تجنح إلى الإيجاز في مثل هذه المقامات الضائقة، وذلك على النحو الذي تقدم تفصيله وتعليله في مواضع سابقة.

وثمت سر آخر يقتضي الحذف، وله صلة وثيقة بالوجه الأول، وهو تصوير فرط المبادرة إلى المطلوب، تعجيلًا بذكره، وإظهارًا للحرص على سرعة تحققه، وإيحاءً بشدة تعلق يوسف – عليه السلام – بحصوله؛ لأنه المقصود الأهم بالنسبة له، وهو محط عنايته، ومصب اهتمامه؛ للخلاص من ضيقه وسجنه، والفكاك من أسره، وذلك قوله – سبحانه –: "اذكرني عند ربك" الذي خرج الأمر فيه مخرج الالتماس من الصاحب لصاحبه.

وفِي الحذف – أيضًا – نوع تقرير وتأكيد على نجاة المتيقن نجاته من صاحبيه – على اختلاف في تفسير الظن في الآية الكريمة، ومن هو صاحبه[٤] – وأنه أمر مقطوع به، مجزوم بحصوله ؛ بقرينة حرف التأكيد "أن"؛ وبدلالة التنوين المعوض عن الياء المحذوفة، وما فيه من إيحاء بالجزم والحسم، حسبما تصوره حركة التنوين المكسورة الخاطفة، ولو ذكرت الياء في آخر الكلمة لكان الأمر محل شك وارتياب،

---

(١)ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٨/٤٢٣.

(٢) يُنظر: أبو السعود ٤/ ١٧١، وروح المعاني للألوسي ٦/١٥٩.

(٣) شطر بيت من الطويل لضابئ بن الحارث البرجمي، وأوله: فمن يك أمسى بالمدينة رحله. ينظر الإيضاح للخطيب القزويني صـــ٤٨ ـــــ دار الجيل بيروت ــ بدون تاريخ.

(٤) ينظر: روح المعاني ٦/٤٣٧.

ولما طلب منه يوسف – عليه السلام – أن يذكر حاله عند الملك، وما لحق به من الظلم، ولما خرج الكلام مخرج الاسمية المنبئة عن الثبوت والدوام "أنه ناجٍ منهما"، وما وراءها من تقرير وتأكيد، وتحقيق وتشديد.

ولما ذكره بوصف النجاة؛ فإن في نعته بذلك تمهيدًا لمناط التوصية بالذكر عند الملك، وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور، وإن كان أدخل في ذلك، وأدعى إلى تحقيق ما وصاه به، لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك(١).

وإذا تجاوزنا اللفظة الخامسة إلى اللفظة السادسة التي حذفت الياء من أخرها، وهي كلمة "هاد" وجدناها تأتي على هذا النحو من الحذف في عدة مواضع من الكتاب العزيز، هي قول الله – تعالى –: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧]، وقوله – تعالى – في أربعة مواضع:﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣] والزمر ٢٣، ٣٦]﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [غافر: ٣٣].

وحذف الياء من الاسم المنقوص السابق في فواصل الآيات الخمس وقفًا ووصلًا في قراءة الجمهور، ووصلًا في قراءة ابن كثير(٢) هو الذي يقتضيه في الموضع الأول: "ويقول الذين كفروا" مقام الرد الذي جاءت له الآية الكريمة؛ فقد جاءت في سياقها ردًا على مقترح المشركين نزول معجزة وآية، تشبه آية موسى وعيسى – عليهما السلام – وغيرهما من الأنبياء؛ تثبت صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – في دعواه، فقيل له – صلى الله عليه وسلم – في الرد عليهم: إنما أنت منذر مخوف لهم من سوء العاقبة، وناصح كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر ولكل قوم هاد من الأنبياء يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خص بها، ولم يجعل الأنبياء شرعًا واحدًا في آيات مخصوصة، وقيل في التفسير غير ذلك(٣).

وإنما كان الحذف هو الأوفق بالمقام المذكور؛ لما فيه من قوة في الرد، وشدة في المجابهة؛ لمجيئه على وجه لا يقبل المراجعة أو المناورة.

وليكون الرد في الجملة موضع البحث: "ولكل قوم هاد" مشاكلًا للرد في قوله: "إنما أنت منذر" وعلى غراره في دلالة الحسم والقطع، والقوة والسرعة، وهذا هو السر – أيضًا – في تقديم الخبر "ولكل

(١) ينظر: أبو السعود ٢٨٠/٤.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ص٣٦٠، ٥٦٨.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤٧٢/٢، وأبو السعود ٢٨٠/٥، وروح المعاني للألوسي ١٠٢/٧.

قوم" على المبتدأ "هاد"؛ لتتناغم دلالات الخصوصيات في النظم الكريم، خصوصية إنما، ودلالة التقديم.

وهو الذي يتطابق في المواضع كلها ــ غير موضع غافر ــ مع مقتضى حال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الضيق الذي أهمه وأحزنه، وانفطر منه قلبه، وذلك من مقترحات المشركين، وتكذيبهم إياه، وعدم تصديقهم دعوته في آية الرعد الأولى؛ ابتداءً من قوله – سبحانه –:﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، ومن استهزائهم ومكرهم به وبأصحابه في آية الرعد الثانية: "﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الرعد: ٣٢]، وقوله في الآية موضع البحث: "بل زين للذين كفروا مكرهم"، ومن كفرهم وتعطيلهم كل منافذ الإدراك للحيلولة بينها وبين الإنصات إلى الحق والهدى، ومن تخويفهم النبي – صلى الله عليه وسلم – آلهتهم المزعومة، وما يعبدون من دون الله في الزمر: "ويخوفونك بالذين من دونه".

وحال الضيق – في موضع غافر – التي انتابت مؤمن آل فرعون من عدم استماع الملأ نصيحته، وإعراضهم عن الإنصات إلى حجته، بل واتباعهم أمر فرعون وجنده، ومقامات الضيق – كما هو مقرر معلوم – من المقامات التي تتسم بالإيجاز واقتصاد العبارة، تخفيفًا من ثقلته، وتنفيسًا من شدة وطأته على النفوس، وتمكنه من القلوب.

وهو الذي يحقق في أغلب هذه المواضع نوعًا من تجاوب الإيقاع، وتناغم الجرس في الفواصل خاصة في آيتي الرعد، وآية غافر، ومن بعدها الزمر؛ ذلك أن جل الفواصل التي اكتنفت هذه الآيات من بين يديها ومن خلفها بنيت على مقطع مغلق، شديد في الغالب، يسبقه مد الألف المفتوح ما قبلها، ولا شك في أن تناغم الإيقاع، وتوافق الجرس في الفواصل وثيق الصلة بتعميق الجانب الانفعالي عند المتلقي، وله أثر عميق في تحفيز الشعور، وإثارة الوجدان، ومن ثم لا نعجب حين ندرك أن روعة الأسلوب القرآني وبلاغته ترجع في جانب منها إلى ما يتميز به القرآن من إيقاع فريد، ولو ذكرت الياء من آخر "هاد" في جل مواضعها لانكسر هذا الإيقاع المتناغم في فواصل الآي الكريمة انكسارًا حادًا.

وثمت ما يقتضي الحذف من "هاد" وتعويض التنوين بدلًا من الياء في آية الرعد الثانية، وآيتي الزمر، وفي آية غافر، وهو القصد إلى عموم النفي وشموله كل هاد غير الله – تعالى –، وفي هذا من المبالغة في تقرير الحكم الذي تضمنته الجملة وتوكيده ما لا يخفى.

وإذا انتقلنا إلى كلمة "وال" وهي اللفظة السابعة التي حذفت الياء من آخرها،

وجدناها تأتي في موضع واحد، هو قول الله ــ تعالى :ــ ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:١١].

وحذف الياء من آخر (وال) هو الذي ينادي عليه المقام؛ فإن الآية الكريمة وقعت في سياقها معترضة بين آيات الاستدلال على عظيم قدرة الله- تعالى -، وإحاطته علمًا بكل مصنوعاته؛ إنذارًا وتخويفًا، وتهديدًا ووعيدًا بالانتقام من الكافرين المكذبين، وإيذانًا بأنهم بما باشروه من إنكار البعث في- قوله -: "وإن تعجب فعجب قولهم ..." الآية، واستعجال السيئة في قوله: "ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة..." الآية ؛ واقتراح الآية المدلول عليه من قوله: "ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه..." الآية، قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة، واستحقوا لذلك حلول غضب الله – تعالى – ، ونزول عذابه(١).

وإنما كان الحذف هو الأوفق في هذا المعنى؛ لما فيه من تقرير نفي الولي على جهة العموم، والشمول وتأكيده، والذي ينبئ عنه دخول "من" على النكرة – وهي الكلمة موضوع البحث – في سياق النفي؛ لما في تنوين الكلمة تنوين العوض من دلالة الحسم والقطع، وذلك على الوجه الذي سبق تحليله، ولو ذكرت الياء في هذا السياق لدل ذلك على التراخي، وأن الغرض إلى نفي نوع معين من الأولياء، وهذا خلاف المقصود، والله أعلم.

ولأنه يحدث نوعًا من التوافق والانسجام بين فاصلة الآية الكريمة، وبين إيقاع السورة المتلاحق، الذي بني على فواصل متشابهة، أو متقاربة، وعلى مقاطع مغلقة أو شديدة في الغالب، و مراعاة النسق الإيقاعي في الفواصل على هذا النحو مما يعمل على جذب الانتباه، واستمالة الإصغاء؛ لما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الكلام الذي يجري في إيقاعة وجرسه على نسق واحد متناغم، وهذا يعمل في مقام الإنذار والتخويف عمله؛ لما فيه من زيادة تقرير المقام وتأكيده، وتحقيق المعنى وتشديده، ولو ذكرت الياء لانكسر هذا التناسق الإيقاعي في الفواصل انكسارًا حادًا، وثقلت الكلمة في النطق، وبطؤ تواثب المعنى إلى القلب، وخفتت دلالة الكلام على المراد.

وأما لفظة (واق) بمعنى: الحافظ أو العاصم فقد حذفت الياء من آخرها في ثلاثة مواضع من الكتاب العزيز، هي قول الله – تعالى –: ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ [الرعد: ٣٤]، وقوله – تعالى –: ــ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ [الرعد: ٣٧]، وقوله – سبحانه –:﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٧٣/٥، وأبو السعود ٩/٥، والتحرير والتنوير ١٥٤/١٢.

قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [غافر: ٢١].

ومن اللافت للانتباه أن الكلمة موضع البحث قد وقعت خاتمة في فواصل الآيات الثلاث، ومنكرة في سياق النفي، وهذا يفسر لنا مقتضى من مقتضيات الحذف وسرًا من أسراره، إذ يحقق نوعًا من تناسق الإيقاع، وتناغم الجرس في الفواصل التي بنيت في كثير منها حول المواضع الثلاثة على حرف شديد، قبله ألف مد مفتوح ما قبلها، كالدال من "هاد" في قوله – تعالى – قبل آية الرعد الأولى: "ومن يضلل الله فما له من هاد"، وكالباء من "مآب"، ومن "كتاب" في قوله قبل الآية الثانية من الرعد: "إليه أدعو وإليه مآب"، وفي قوله بعدها: "لكل أجل كتاب" ، وكالباء من "عقاب" في قوله بعد آية غافر: "إنه قوي شديد العقاب"، ولو ثبتت الياء في آخر الكلمة لفات هذا الانسجام في الفواصل، وذهب هذا التناغم الذي يعمل – في جانب منه – على استمالة الإصغاء، وإيقاظ التنبه نحو الاستماع والإنصات.

وهو الذي ينادي عليه مقام الآيات الثلاث، مقام التهديد والوعيد المخاطب به الكافرون في آية الرعد الأولى؛ بقرينة قوله – تعالى – قبل ذلك: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾ [الرعد:٣١]، وهو ما ينالهم من القتل والأسر، وسائر المحن في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة، وذلك حسبما ذكره المفسرون في التأويل(١).

ومقام الإلهاب والتهييج، والبعث على الثبات في الدين، والتصلب فيه، وأن لا يزلَّ زالٌّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وقطع أطماع الكافرين، وحسم مادتها في آية الرعد الثانية، وإلا فقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو المخاطب بالآية من شدة الشكيمة والتصلب في الدين بمكان(٢).

ومقام الإنذار والتخويف، والوعظ والتذكير بما حل بالأمم السابقة من هلاك ودمار بقيت آثاره في الأرض شاهدة على ما كانوا عليه من شدة وشكيمة، وقوة وتمكن، وما أوتوا من وسائل وأسباب، وذلك في آية سورة غافر.

وإنما كان الحذف هو الذي ينسجم مع هذه المقامات المذكورة؛ لأنها مقامات ذات حركة قوية، وسمت عنيف وسريع، والقاف في الفواصل دون الياء هي التي تتوافق في قوتها وشدتها مع قوة هذه المقامات وشدتها؛ لما تتسم به من اضطراب، وقلق شديد؛ نظرًا لاجتماع الشدة والجهر في صفاتها، والعمق في مخرجها، فاحتاجوا إلى

---

(١) ينظر: الكشاف ٥٣٢/٢، والتفسير الكبير للرازي ٢٥٤/٩.

(٢) ينظر: الكشاف ٥٣٤/٢، والبيضاوي ١٩٠/٣، وأبو السعود ٢٦/٥.

هدهدتها؛ للتخفيف من ثقلها عن طريق قلقلتها في النطق في حال سكونها وقفًا، أو عن طريق حركتها المكسورة الخاطفة من تنوينها تنوين العوض في حالة الوصل، وهو ما ينعكس إيجابًا على تصوير المقام وتشخيصه، و تقرير المعنى وتوكيده.

ولأنه الذي يحدث نوعًا من تماثل عناصر البناء ولبناته في النسق الكريم في آية الرعد الأولى؛ فإن ختام الجملة السابقة على الجملة موضع البحث هو كلمة "أشق" التي تصور غاية الشدة والصعوبة، ونهاية الكرب والبلاء، وقد ختمت بصوت القاف، وهو حرف ذو سمت وطابع خاص، وذلك على النحو الذي سبق تفصيله وتحليله، فكان أن حذفت الياء من "واق"؛ لتكون القاف هي ختام أصواتها أيضًا؛ لتماثل "أشق" وتجانسها في القوة والشدة؛ فإن الألفاظ القوية تجاور أمثالها من الألفاظ القوية، وتأتي في نسقها، كما أن المعاني القوية الجزلة تبرز في معارض على شاكلتها في القوة والجزالة.

وأما كلمة (وادٍ) التي تعني في الأصل: كل منفرج من الجبال والآكام يكون منفذًا للسيل، اسم فاعل من (ودى) إذا سال، ثم شاع في الأرض على الإطلاق(١)، فقد جاءت منكرة محذوفة الياء من آخرها في موضع واحد، هو قول الله – تعالى –: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

وحذف الياء من الكلمة في هذا السياق، وإن كان من علة صرفية تقتضيه، إلا أنه الذي ينادي عليها مقام الدعاء، ويتطابق مع مقتضى حال الخليل – عليه السلام – في شدة التضرع والرجاء، ونهاية التقرب والالتجاء إلى رب الأرض والسماء، كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الآية الكريمة ووسطها؛ فإن الحذف، وتعويض التنوين بدلا منه هو الذي يخلع على المقام – إلى جوار نعت الكلمة بقوله: "غير ذي زرع" ــ نوعًا من الهول والمهابة، والعظم والضخامة بين يدي مطلوبه – عليه السلام – والذي أفصح عنه بعد ذلك في قوله: "ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم..."؛ ليكون ذلك أرجى لقبول الدعاء، وأدعي لتحقيق الرجاء؛ لدلالته على غاية الضعف، ونهاية الانكسار، وأن الأمر خارج عن الطوق، وليس في حد القدرة والإرادة.

ثم إن الحذف وتعويض التنوين ــ بحركته السريعة المكسورة، التي يخطفها اللسان خطفًا عند النطق بها – بدلًا عنه فيه نوع من فرط المبادرة إلى المطلوب، والانتقال السريع إلى المقصود الذي أفصح عنه النظم الكريم بعد ذلك، وذلك على نحو يجسد شدة حرصه – عليه السلام – على

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة (ودى) ٤٨٠٣/٦.

تحقيق مبتغاه، واستجابة دعاه، إذ هو الذي يتعلق به القصد، وتتجه نحوه العناية والاهتمام، ولو ذكرت الياء لكان في إثباتها نوع ثقل يقيد من حركة النظم، ويحد من تواثب الإيقاع، وهو ما يتنافى مع المقام، ولا يتفق مع مقتضى الحال.

واللفظة العاشرة وهي كلمة (باقٍ) جاءت هي الأخرى منكرة محذوفة الياء في موضع واحد، هو قول الله – تعالى – : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٦].

وحذف الياء من آخر الكلمة – إلى جانب أنه من التخفيف لالتقاء الساكنين؛ بسبب كثرة الاستعمال – هو الذي يقتضيه مقام الحث على الثبات على ما عليه المؤمنون من الأعمال الحسنة المخصوصة، والترغيب في تحصيل ثوابها؛ فإن الآية الكريمة جاءت في سياقها لتقرير وتأكيد مضمون قوله – تعالى – في ختام الآية السابقة: "إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون" الذي وقع موقع العلة من النهي في قوله – سبحانه – من الآية نفسها: "ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً" حثًا وترغيبًا للمؤمنين فيما عند الله، والثبات على ما هم عليه من الأعمال الصالحة؛ بتقرير أن ما عند الله دائم لا نفاد له، وأن ما يعطيه المشركون محدود نافد؛ لأن خزائن الناس صائرة إلى النفاد بالإعطاء، وأما خزائن الله فباقية لا تنفد، ولا تغيض(١).

وإنما كان الحذف هو الذي ينسجم مع هذا المقام؛ لأن ما تتسم به الياء من صفات الرخاوة والليونة يجعلها لا تتناسب مع هذا المقام، بخلاف القاف فإنها حرف شديد مجهور، عميق المخرج، ينحبس النفس عند النطق بها، ثم ينفجر بصوتها في قوة، وهذه القوة تعد لازمًا من لوازم الثبات على الحق؛ إذ لا يتأتى الثبات بدونها، فالحذف يجسد ويصور ما يتطلبه المقام من قوة في طريق هذا الثبات.

كما لا تتناسب الياء من وجه آخر – لما سبق من صفاتها – مع إيثار صيغة الاسم الدالة على الثبوت والدوام من الكلمة موضع البحث، في مقابلة صيغة المضارع "ينفد" الدالة على التجدد والحدوث، بخلاف القاف فإن ما فيها من صفات القوة يجعلها أكثر انسجامًا في الدلالة على هذا المعنى من الياء، كما يجعلها أكثر انسجامًا وتوافقًا في مقابلة الدال من الفعل المضارع "ينفد" المقابل لكلمة "باق"؛ لتقارب الدال والقاف في كثير من صفاتهما وبهذا تتسع الهوة، ويظهر البون الشاسع بين ما عند الله، وما عند البشر، فما عند الله خير مما يجدونه من طيبات الدنيا؛ لأن ما عند البشر من أعراض الدنيا ومتاعها زائل فان، وما عند

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ١٣٩/٥، والتحرير والتنوير ٢١٨/١٣.

الله من خزائن رحمته باق لا ينفد، ومستمر لا ينقطع، وثابت لا يزول[1].

ثم إن الحذف هو الذي ينادي عليه – إلى جانب ما سبق – إخراج الجملتين المتعاطفتين: "ما عنكم ينفد وما عند الله باق" وجريانهما مجرى المثل، ومما هو مقرر معلوم أن الإيجاز واقتصاد العبارة من أبرز خصائص الأمثال وسماتها؛ ليكون ذلك أعون على سرعة حفظها وسهولته، وكذا كثرة دورانها على ألسنة الناس.

وإذا تجاوزنا اللفظة العاشرة إلى اللفظة الحادية عشرة وهي كلمة (مفتر) وجدنا الياء قد حذفت من آخرها في موضع واحد هو قول الله – تعالى –: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١٠١].

وحذف الياء من آخر الكلمة هو الذي يتطابق – من وجه – مع مقتضى حال المشركين المكذبين في شدة الحرص، وفرط المسارعة إلى إلصاق تهمة الافتراء برسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والسعي الحثيث في إلحاقها به، ونسبتها إليه، وذلك لما يحققه الحذف من آخر الكلمة وتعويض التنوين بدلًا عنه من خفة الكلمة في النطق، وسرعتها في الأداء، حتى كأنك ترى ألسنتهم وهي تخطف الكلمة خطفًا سريعًا من شدة الحرص، وفرط المبادرة.

ومن وجه آخر: فإن الحذف هو الذي يومئ من طرف خفي إلى عدم قناعتهم بهذه التهمة التي ألصقوها برسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ومن ثم تخطف ألسنتهم الكلمة خطفًا سريعًا؛ لمخالفة هذه التهمة لما استقر عندهم من صفته وخلقه، فقد عرفوه بالصادق الأمين، فكيف ينسبونه إلى الكذب والافتراء بعد ذلك؟!.

كما أن حذف الياء من آخر الكلمة هو الذي يقتضيه المقام؛ فقد جاءت الآية الكريمة في سياقها ردًا وإبطالًا لمزاعم المشركين وافتراءاتهم حول القرآن، وحول النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لما رأوه من نزول آية من القرآن ناسخة لآية أخرى، أو تبديل آية مكان آية، حيث وجدوا في ذلك – في ظنهم– مدخلًا للطعن في القرآن، وفي المنزل عليه هذا القرآن، فطعنوا، واتخذوا من ذلك شاهدًا على نسبته – صلى الله عليه وسلم –إلى الافتراء والكذب في إحدى المقالتين، أو في كلتيهما معًا؛ وذلك لجهلهم، وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ، وقصور أفهامهم عن إدراك مرامي القرآن، وسمو معانيه، فقد كانوا يقولون: إن محمدًا يسخر من أصحابه؛ يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غدًا، فيأتيهم بما هو أهون[2].

---

(١) ينظر: البيضاوي ٢٣٩/٣، وأبو السعود ١٣٨/٥.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي النيسابوري ٢٨٠/١ ، والكشاف للزمخشري ٦٣٤/٢،

وإنما كان حذف الياء على هذا النحو من الموافقة للمقام؛ لأنه الذي يصور سرعة الرد وقوته، ويعكس فرط المبادرة إلى نقض وإبطال طعنهم في القرآن، وفي النبي – عليه الصلاة والسلام – وذلك على نسق مسارعتهم وفرط مبادرتهم إلى إلصاق هذه التهمة برسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو يزيد، وذلك في قوله – سبحانه – في إثره مباشرة: "بل أكثرهم لا يعلمون"، وعلى وجه الإضراب الإبطالي، وكذلك الآيات الكريمة بعد ذلك، ولو لم تحذف الياء لفات هذا المعنى، ودل الذكر على تراخي الرد وضعفه، وعدم مجيئه على وجه الحسم والقطع؛ لما يحدثه امتداد النفس بصوت مد الياء من تقييد حركة النظم، وبطء تلاحق القرائن وتتابعها في بنيته، وهو ما ينعكس سلبًا على المعنى المراد.

وأخيرًا فإن الحذف هو الذي يحدث نوعًا من التوافق والتماثل في بنية النظم الكريم وقرائنه؛ وذلك بين جملة جواب الشرط التي جاءت الكلمة موضع البحث جزءًا من بنيتها، وبين الجملة المعترضة بين الشرط وجوابه، وهي قوله: "والله أعلم بما ينزل"؛ لتقرير الرد وتأكيده؛ حيث حذف من هذه الجملة مفعول الفعل "ينزل" الذي جاء صلة لـــ "ما"؛ بقرينة السياق؛ أو قصدًا إلى العموم والشمول، فقام حذف الياء من "مفتر" في جواب الشرط مقام حذف كلمة بأكملها في تحقيق التناسب، والتناسق بين العناصر في بنية النظم الكريم؛ ليجيء كل على شكله ولفقه، والله أعلم.

واللفظة الثانية عشرة التي حذفت الياء من آخرها هي كلمة "قاض"، تلك الكلمة التي يقاس عليها غيرها مما هو على شاكلتها في هذا الباب ، فيقال: أعلت إعلال "قاض"، وقد جاءت على هذا النحو من الحذف في قول الله – تعالى –: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه: ٧٢].

وحذف الياء من "قاض" وإن اقتضاه التخفيف لالتقاء الساكنيين فإنه الذي ينادي عليه – إلى جوار ذلك – مقام إظهار السحرة الذين ءامنوا برب هارون وموسى – عليهما السلام – ثباتهم على الحق، وتمسكهم به، وتأكيد يقينهم الراسخ في الله – عز وجل – وتحقيقه، بعد مغالبتهم موسى – عليه السلام – وتيقنهم أن ما جاء به ليس من السحر في شيء؛ لدلالة الحذف، وخفة التنوين المعوض عن الياء المحذوفة على استخفافهم بوعيد فرعون، واستصغارهم لما هددهم به في قوله – تعالى –:﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١]، وتوهينهم أمره، وأمر جنده وملئه؛ لما يحصل بالحذف والتنوين المعوض عنه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج، وسرعة مذل اللسان بها، وتلك

والتحرير والتنوير ١٣/٢٢٥-٢٢٦.

سمات وخصائص تناسب المعاني المذكورة، وتصورها وتماثلها على أكمل وجه وأتمه.

وقرينة هذا التحليل ودليل توجهه من سياق النظم الكريم؛ حيث حذف الضمير العائد على ما تهددهم به فرعون في قوله: "فاقض ما أنت قاض"؛ إذ أصل الكلام أن يقال: فاقض ما أنت قاضيه؛ فإن في هذا الحذف دلالة على عدم اكتراثهم به، والتفاتهم إليه، وهذا إنما يكون من قوة اليقين، وتحقق مقتضى الإيمان في قلوبهم.

وفي الحذف – أيضًا – دلالة على فرط مجابهتهم لتهديد فرعون ووعيده السابق، وتجسيد لعدم رخاوتهم في سرعة الرد عليه؛ لأن طبيعة الموقف تقتضي ذلك؛ حتى لا يتسرب الوهن والضعف إلى قلوبهم، واليأس والقنوط إلى نفوسهم، وهذه قوة في القلب تتولد من حصول اليقين التام فيه، والبصيرة الكاملة لهم في أصول الدين، وهذا مما يتطابق مع مقتضى حالهم في الثبات على الحق والتصلب فيه؛ لأن فيه قطعًا لآمال فرعون، وحسمًا لمادة طمعه في رجوعهم إليه، وطاعتهم له مرة أخرى.

وقرينة هذا من حذف ياء فعل الأمر "فاقض" من المادة نفسها، وفي الجملة ذاتها،؛ فإن حذف الياء من الكلمتين – بما يجسده من الخفة والسهولة – يؤدي إلى تواثب الإيقاع، وسرعة حركة النظم، وتتابع عناصر بنائه، وهذا مما ينعكس إيجابًا على المعنى المصور.

وأخيرًا فإن الحذف هو الذي يحصل به نوع من تناسق الإيقاع وتناغم الجرس، وتناسب الشكل والمضمون بين فعل الأمر "فاقض" واسم الفاعل "قاض" في أول الجملة وآخرها، حيث حذفت الياء من الفعل، فكان أن حذفت من الاسم من المادة نفسها؛ ليأتي كل مماثلًا لوفقه ولفقه، في وقعه وشكله ومضمونه، والله أعلم.

أما اللفظة الثالثة عشرة، وهي كلمة (زان) من قول الله – تعالى:-﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣]، فقد اقتضى حذف الياء من آخرها – وإن كان جاريًا على الأصل؛ تخفيفًا من التقاء الساكنيين، وكثرة الاستعمال – مقام المبالغة في الزجر والتنفير من نكاح الزواني وتشنيع أمره وتبشيعه، وتهويله وتفظيعه، بعد الزجر عن الزنا نفسه، وتفظيع جرمه وتشنيعه، ببيان العقوبة الشرعية المترتبة على ارتكاب هذه الجريمة النكراء، والكبيرة القبيحة الشنعاء، في قوله – سبحانه – في الآية السابقة﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢]، وذلك حسبما جاء في أسباب النزول من أن هذه الآية الكريمة نزلت في بعض فقراء المهاجرين وضعفتهم؛ رغبوا في الزواج من موسرات كن بالمدينة من بغايا المشركين، فاستأذنوا رسول الله –

صلى الله عليه وسلم – فنزلت ببيان أن هذا من أفعال الزناة وخصائص المشركين[١]؛ بقرينة سياق النظم الكريم من تنكير الكلمة موضع البحث، وتعويض التنوين بدلًا عن الياء المحذوفة، ومن قصر نكاح الزناة والمشركين على الزانيات والمشركات، وقصر نكاح الزانيات على الزناة والمشركين في الجملتين المتعاطفتين، وهما قوله: "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك" قصر صفة على موصوف قصر قلب أو قصر تعيين؛ بقرينة طبيعة الموقف الذي نزلت فيه الآية الكريمة، وذلك على النحو الذي سبق تفصيله في أسباب النزول.

وإنما اقتضت طبيعة الموقف هذا الحذف؛ لأنه الأبلغ زجرًا، والأقوى تنفيرًا لما يحصل به – بما يترتب عليه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج – من نوع مسارعة إلى المطلوب، وفرط مبادرة إلى تقرير الحكم الشرعي المنوط إثباته وتأكيده، وهو قوله – سبحانه –"وحرم ذلك على المؤمنين"؛ تنبيهًا على أهميته، ولفتًا للأذهان إلى شدة خطورته، وبيان مدى أثر عدم الالتزام به في تقويض أركان الجماعة المسلمة، وتهديد أمنها واستقرارها؛ لما في نكاح الزواني من التشبه بالفساق، وحضور مواقع التهمة، والتعرض لسوء القالة في الناكح، والتسبب لأنواع المفاسد من الطعن في النسب، واختلال أمر المعاش، وغير ذلك من أنواع المفاسد التي لا تليق بأحد من الأداني والأراذل، فضلًا عن المؤمنين، ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام، فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب؟[٢].

وثمت سبب آخر ينادي على الحذف، وهو تحقيق نوع من التماثل اللفظي الناشئ من التنوين، ومن الاتفاق في عدد الحروف، بين كلمتي "زان"، و"مشرك"، كما تحقق بين كلمتي "زانية"، و"مشركة" في الجملة الأولى، ولو ذكرت الياء فقيل، "إلا زاني" بالإشباع لفات هذا التناسب في الشكل، والتماثل في اللفظ الذي يحصل به تناغم الجرس، وتناسق الإيقاع في النظم الكريم.

وأخيرًا: فإن في حذف الياء من الكلمة المذكورة احترازًا وتحاشيًا عن الثقل الناشئ من إعادة ذكرها ثانية على وجه التمام، بعد تقدم ذكرها كاملة في: "الزاني" في الجملة الأولى، وتجاوزًا لهذه اللفظة المستبشعة ذات الوقع المنفر في الأسماع والقلوب على وجه السرعة، حتى لا يجرح ذلك مشاعر المؤمنين والمؤمنات؛ إذ من المقرر المعلوم أن الثواني يحذف منها ما لا يحذف من

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي النيسابوري ٣١٥/١، وأبو السعود ١٥٦/٦، وروح المعاني للألوسي ٢٨٢/٩ وما بعدها .

(٢) ينظر: الكشاف ٢١١/٣، وأبو السعود ١٥٧/٦.

الأوائل؛ بقرينة دلالة الذكر في الأوائل على ما يحذف من الثواني، والله أعلم.

وأما الألفاظ الثلاثة الأخيرة – الرابعة، والخامسة، والسادسة عشرة – وهي ألفاظ "فان"، و"آن"، و"دان" فقد جاءت في سياق سورة الرحمن خاصة؛ وذلك في قول الله – تعالى–: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وقوله – تعالى–: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤]، وقوله – سبحانه–: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وحذف الياء من الكلمات الثلاث، وإن كان يجري على القاعدة المشهورة من حذف آخر المنقوص، إذا كان نكرة منونة؛ لالتقاء الساكنين؛ تخفيفاً من كثرة الاستعمال إلا أنه الذي يقتضيه مقام الوعظ والتذكير، والإنذار والتخويف، والامتنان والتفضل في الآيات الثلاث، ويتطابق مع مقتضى حال المخاطبين بكل آية.

أما الآية الأولى فإن حذف الياء من آخر (فان) هو الأبلغ في الوعظ والتذكير، والإنذار والتخويف من إثباتها، الأوفق بمقتضى حال المخاطبين السادرين في الغفلة والنسيان، وعدم خطور أمر الآخرة لهم على بال؛ فإن المخاطب بها سائر الثقلين من إنس وجان؛ بدلالة قرائن السياق قبل ذلك من قوله – سبحانه–: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥]، وبدلالة قرائن السياق بعده من قوله –سبحانه– : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: ٣١].

وإنما كان ذلك كذلك؛ لدلالة الحذف – بسبب ما يحصل به من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج – على سرعة لحوق الفناء كل من على ظهر الأرض، وعمومه وشموله كل مخلوق وجماد؛ بقرينة تنكير الكلمة وتنوينها؛ ولدلالته من وجه آخر على فرط قصر مدة البقاء والحياة على وجه الأرض، وإن بدت في ظاهر الأمر على خلاف ذلك، وندائه من وجه ثالث، على نهاية يسره، وكمال سهولته على الله – تعالى –؛ فإن هذه النعم التي تغمر الخلق من جميع الوجوه، من شمس وقمر، وشجر ونبات، ونجوم وكواكب، وسفن جاريات في البحر كالأعلام، وغير ذلك مما عدده الله في سياق السورة قبل هذه الآية لا يحول بينهم وبين ما قدره الله عليهم من الفناء، وفائدة هذا أن لا ينسوا الاستعداد للحياة الباقية بفعل الصالحات، وأن يتفكروا في عظيم قدرة الله، ويقبلوا على توحيده، وطلب مرضاته[1]، ولو ذكرت الياء – بما تتسم به من خصائص صوتية– لفاتت كل هذه الدلالات.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣٥/٢٧.

وأما في الآية الثانية فإن الحذف من "آن" – اسم فاعل من " أنى ــ يأنى" – هو الذي يصور بمقطعه الساكن المغلق بلوغ الحميم– وهو شراب أهل النار– الغاية في الحرارة، والنهاية في الشدة والسخونة، وهو بهذا المعنى يتطابق تمام المطابقة مع مقام الإنذار والتخويف، والوعظ والتذكير؛ لما في الإنذار به على هذا النحو من اللطف، ومن نجاة الناجي منه برحمته وفضله(١).

كما يتطابق بهذا المعنى – أيضًا – مع مقتضى حال أهل النار في العتو والإجرام، بقرينة تسميتهم مجرمين في قوله: "هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون"، ومع ما يشتمل عليه النسق الكريم من تهديد ووعيد؛ لأنه الذي يليق بإجرامهم وعتوهم، ولو ذكرت الياء في هذا الموضع لكان في ذكرها إيحاء – لامتداد النفس بصوت مدها مكسورًا عند النطق بها – بأن الحميم لم يبلغ في الحرارة غايته، ولم يصل في السخونة إلى نهايته.

كما يتطابق باعتبار آخر مع مقتضى حال أهل النار – أيضًا –، إذ هو الذي يصور بمقطعه المغلق الساكن من الوقوف على النون ساكنة أو منونة– عدم استساغة أهل النار من المجرمين الحميم، وغصته في حلوقهم، وتجرعهم إياه عن إلجاء وقهر، ورغم أنوفهم، ولو ذكرت الياء؛ لدلت على يسره وسهولته، ونطقت باستساغتهم إياه في حلوقهم، وهذا خلاف المراد، والله أعلم.

(١) ينظر: الكشاف ٤٥١/٤.

وهو الذي ينطق في كلمة "دان" في الآية الثالثة بشدة قرب جنى الجنة، وفرط دنو ثمرها من الآكلين، على عكس إثباتها؛ إذ قد يوهم ذكرها البعد، ولو على نحو ما، بسبب ما في امتداد النفس بصوت مدها من إيحاء بذلك.

وإنما كان الحذف من الكلمة أوفق بمقام الامتنان والتفضل، وأدخل في الوعظ والتذكير، وأقوى في الحض على العمل للجنة؛ لدلالته على غاية الرضا، ونهاية الإكرام، وفرط الراحة والسعادة؛ بقرينة الاتكاء من سياق الكلام في قوله: "متكئين على فرش بطائنها من إستبرق"، وهي هيئة بين الاضطجاع على الجنب والقعود، وهي من صفات المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب.

وبقرينة ما جاء في الأثر – أيضًا– عن ابن عباس – رضي الله عنهما–: "تدنو الشجرة، حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائمًا، وإن شاء قاعدًا، وإن شاء مضطجعًا"(٢).

وأخيرًا: فإن الحذف من المواضع الثلاثة هو الذي يحصل به تناغم الجرس، وتناسق الإيقاع المتحقق في فواصل الآي الكريمة من النون الموقوف عليها بالسكون بعد ألف المد المفتوح ما قبلها في أكثر الفواصل، ولو ذكرت الياء لانكسر الإيقاع انكسارًا حادًا، واختل نظام الكلام على نحو يؤثر سلبًا على المعنى المراد، والله أعلم.

(٢) ينظر: أبو السعود ١٨٥/٨، كما ينظر: روح المعاني للألوسي ١١٧/١٤.

"المحور الثاني"

حذف لام الفعل في القرآن الكريم

****

يعد حذف اللام خطاً ونطقاً من الفعل المضارع خاصة من أبرز ظواهر حذف حروف المباني في القرآن الكريم، وقد تنوعت صور هذا الحذف وتعددت أنماطه في كتاب الله ــ تعالى ـــ؛ وذلك تبعاً لاختلاف نوع الحرف المحذوف، فقد تكون اللام المحذوفة هي الياء من آخر الفعل، وقد يكون المحذوف هو الواو، وقد تكون اللام المحذوفة هي النون من آخر الفعل.

ومما ينبغي الالتفات إليه أن هذا النوع من الحذف يجري في هذه الصور على خلاف الأصل المقرر عند علماء العربية؛ لعدم وجود علة نحوية من ناصب أو جازم تقتضيه، وذلك على النحو الذي نعرض له في الصفحات الآتية؛ بذكر مواضع كل صورة من هذه الصور، ثم تحليلها تحليلاً بلاغياً يحاول الكشف عن شيء من أسرارها، واكتناه بعض وجوه بلاغتها، على نحو ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ...، وذلك على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني.[1]

"الصورة الأولى"

"حذف الياء من آخر الفعل المضارع"

****

حذفت الياء التي تمثل لام الكلمة من آخر الفعل المضارع في ستة أفعال[2]، جاءت ــ أيضاً ــ في ستة مواضع من الكتاب العزيز.

أما الموضع الأول فقد حذفت فيه الياء من آخر الفعل المضارع "ننجي" في قوله: تعالى :ــ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣]

وحذف الياء بعد الجيم خطاً على صورة النطق بها من آخر الفعل المضارع "ننج" المعدى إلى المفعول به الواقع في فاصلة الآية الكريمة هو الذي ينادي عليه مقام تثبيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمؤمنين معه، والربط على قلوبهم في مواجهة مشاق الدعوة ومصاعبها، وتحمل الأذى والعنت الذي يلاقونه في هذا الطريق؛ لما في الحذف من فرط التعجيل بسوق البشارة، والإسراع في إدخال الفرح والسرور إلى نفوسهم، وذلك في إثر مقام التهديد، والمبالغة في تشديد الوعيد المنصرف إلى المكذبين؛ فإن الآية الكريمة جاءت في سياقها عطفاً على مقدر يدل عليه قوله في الآية السابقة: "إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم"، وما بينهما اعتراض جيء

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني صـــ١٤٦ / تحقيق: محمود محمد شاكر ــ الطبعة الثالثة ١٩٩٢م ــ مطبعة المدني ــ القاهرة.

(٢) هي الأفعال: "ننج ــ يأت ــ نبغ ــ تغن ــ ينادِ ــ يسر".

به مسارعة إلى التهديد، ومبالغة في تشديد الوعيد، كأنه قيل: أهلكنا الأمم لما كذبوا الرسل، ثم نجينا رسلنا المرسلة إليهم، والذين آمنوا معهم، ومثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم من كل شدة وعذاب، ونهلك المشركين(١).

ولما فيه من بث الثقة، وسكب السكينة والطمأنينة في قلب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقلوب المؤمنين معه من تحقق وعد الله ــ تعالى ــ وحصوله على نحو لا يتخلف؛ لدلالة الحذف على فرط سهولته، وكمال يسره على الله ــ تعالى ــ ولو ذكرت الياء في آخر الفعل لأدى إثباتها إلى ثقل الإيقاع الحركي في النسق الكريم، وهذا من شأنه أن يضعف دلالة الكلام على هذه المعاني، ويذهب بها على وجه يفقد الكلام خاصية المطابقة لمقتضى الحال، وهذا ما يجل عنه النظم الكريم.

وثمت ما يقتضي الحذف غير ما سبق، وهو تناغم دلالات الخصوصيات في النسق الكريم؛ خصوصية الحذف، وخصوصية جريان الجملة التي جاءت فيها الكلمة موضع البحث مجرى المثل؛ لخروجها مخرج التذييل المقرر والمؤكد لمضمون ما قبله من قوله:ــ " ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا" مع استقلاليتها بالإفادة(٢)، ومن المقرر بلاغة أن الأمثال تتسم في بنيتها بالإيجاز وقصر العبارة، تخفيفاً من كثرة الاستعمال ودورانها على الألسنة في المواقف المشابهة.

وفي الحذف ــ أيضاً ــ احتراز عن الثقل الناشئ من إعادة ذكر الفعل ثانياً على وجه التمام، بقرينة تقدم ذكره أولاً، ومن دون حذف في قوله من الجملة الأولى: "ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا"؛ فإن الثواني يجري عليها من الأحكام ما لا يجري على الأوائل، وكذا من قرينة تخفيف الجيم المضاعفة في آخر الفعل بعد حذف الياء، والله أعلم.

وأما الموضع الثاني الذي حذفت فيه الياء فهو قول الله ــ سبحانه:- ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[هود: ١٠٥]، حيث حذف حرف العلة ــ الياء ــ من آخر الفعل المضارع "يأت"؛ وذلك على خلاف الأصل؛ لعدم وجود علة نحوية أو صرفية تقتضيه.

وحذف الياء من آخر الفعل "يأت" وإن كان جارياً على خلاف الأصل إلا أنه الذي يقتضيه مقام الإنذار والتخويف الذي جاءت له الآية الكريمة؛ فإن الآيات التي اكتنفتها من بين يديها ومن خلفها جاءت إنذاراً وتخويفاً، وتهديداً ووعيداً للظالمين

(١) ينظر: الكشاف ٣٧٣/٢، وأبو السعود ١٧٨/٤ .

(٢) ينظر: أبو السعود ١٧٨/٤ ، وروح المعاني ١٨٤/٦ .

المستكبرين[1]، بالاستطراد إلى تفصيل بعض أحوال القيامة، وما يقع فيها من شدائد وأهوال، وما يلابسها من كرب عظام، وخطوب جسام، وانقسام الناس فيها إلى فريقين: شقي وسعيد، وبيان الجزاء الذي أعده الله لكل فريق، ابتداء من قوله ــ سبحانه ــ:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾[هود: ١٠٣]، وانتهاءً بقوله: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨]، وبقرينة تقديم الشقي على السعيد في قوله: "فمنهم شقي وسعيد".

وإنما كان الحذف هو الأنسب في هذا المقام؛ لأنه الأبلغ إنذاراً وتخويفاً، الأقوى تهديداً ووعيداً؛ لدلالته على يسر الإتيان – إتيان يوم القيامة– وسهولته، ووقوعه على وجه السرعة المفرطة؛ لما في الوقوع على هذا النحو من توفر عنصري المفاجأة والمباغتة التي تجعل وقعه على النفس أشد، وأثره فيها أبقى، وميسمه ألذع؛ لما يستلزمه من عدم الإمهال الذي يعقبه الوبال، وما يتوارى وراء كل هذا من دلالة على ضعف المنذر وغاية هوانه.

ومن وجه آخر: فإن الحذف هو الذي يتناغم مع مقام تفخيم اليوم وتهويله، وتعظيمه وتفظيعه؛ بقرينة تعريفه باسم الإشارة الموضوع للبعيد في قوله:﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣].

وكذا بقرينة استتار فاعل الفعل موضع البحث نفسه، واختلافهم في تقديره، من هو؟ فقيل: هو الله عز وجل؛ بدلالة قوله ــ سبحانه ــ في سياق آخر ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله:ــ ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله سبحانه:ــ ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢] ويعضد هذا الوجه قراءة من قرأ: "وما يؤخره" بالياء في الآية المتقدمة؛ وبدلالة الضمير في قوله: بإذنه" فإنه عائد إلى الله تعالى[2].

وقيل: هو ضمير اليوم؛ بدلالة قوله ــ تعالى ــ في موضع آخر:ــ ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[يوسف:١٠٧]، والمراد إتيان هوله وشدائده؛ فإن وقوعه على وجه السرعة المفرطة أبلغ في تفخيمه وتهويله من حصوله شيئاً فشيئاً، وحدوثه على مهل؛ لتحقق عنصري المفاجأة والمباغتة اللذين لا يتأتى معهما الاستعتاب أو الإمهال[3] .

وأخيراً: فإن اقتطاع الحرف من بنية الفعل على هذا النحوــ إلى جانب ما يحققه

---

(١) ينظر: أبو السعود ٢٤١/٤

(٢) ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد صـــ٣٣٨ ، كما ينظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٢٩ .

(٣) ينظر: الكشاف ٤٢٩/٢، وأبو السعود ١٧٨/٤ .

من نوع تخفيف وسهولة في الأداء، وذلك على الوجه الذي حكاه الخليل وسيبويه في قولهم: "لا أدر، ولا أبال"(١) ــ هو الذي ينسجم مع إخراج الآية الكريمة مخرج الإيجاز بالحذف في نظمها؛ وذلك ــ أولاً ــ من طريق حذف عامل الظرف "يوم" والذي اختلفوا في تقديره(٢)، وثانياً: من حذف إحدى التاءين من أول المضارع في قوله: "لا تكلم"؛ إذ الأصل: "لا تتكلم".

ومن حذف الخبر ــ ثالثاً ــ في قوله" "وسعيد"؛ بدلالة ذكره ــ أولاً ــ في قوله: "فمنهم شقي" عليه(٣).

وأما الموضع الثالث وهو قوله ــ تعالى ــ في سياق قصة موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ من سورة الكهف :ــ ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤] ، حيث حذفت الياء من آخر الفعل المضارع : "نبغ"، ومعناه:ــ نطلب، وذلك على غير قياس، حسبما قرر العلماء، وقد ذكروا أن الإثبات هو الأحسن؛ لأن هذا فعل، والحذف إنما يكون من الأسماء(٤).

ومع تجاوز هذا الكلام الذي ذكره العلماء من أن الإثبات هو الأحسن؛ للعلة التي ذكروها، إلا أننا حين نعرض هذا الحذف على متطلبات المعنى المراد، ونحتكم فيه إلى طبيعة الموقف المصور نجد أن هذا الحذف لا بديل عنه؛ لأنه الأوفق بطبيعة الموقف الذي جاء في تصوير شدة حرص موسى ــ عليه السلام ــ على طلب العلم، وتجسيد رغبته العارمة في لقاء العبد الصالح واتباعه؛ للتعلم منه؛ بدلالة قوله تعالى في مستهل القصة:ــ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾[الكهف: ٦٠] .

وإنما كان اقتطاع الياء من آخر الفعل هو الأوفق بطبيعة الموقف، الأبلغ في تشخيص المقام وتصويره؛ لأنه الأقدر على إبراز الحالة النفسية والشعورية المسيطرة على نبي الله موسى ــ عليه السلام ــ؛ لدلالته على فرط عجلته، وشدة لهفته وسرعته إلى لقاء العبد الصالح واتباعه؛ للتعلم منه.

إن نفس نبي الله موسى ــ عليه السلام ــ مفعمة بلقاء الخضر ــ عليه السلام ــ متشوقة إلى الوصول إليه؛ للتعلم منه، حتى كأن إتمام الكلمة بإثبات الياء في

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ١٩٦/٢، وقد ذكر الزمخشري أن حذف الياء والاجتزاء عنه بالكسرة كثير في الكلام، وهو لغة هذيل. ينظر: الكشاف ٤٢٩/٢ .

(٢) قيل: عامله مضمر، تقديره: "اذكر" وقيل: عامله الانتهاء المحذوف في قوله: "إلا لأجل معدود" أي: ينتهي الأجل يوم يأت، وقيل: عامله:" لا تكلم" وعليه فلا حذف، ينظر: الكشاف ٤٢٩/٢ .

(٣) ينظر: أبو السعود ٢٤١/٤ .

(٤) ينظر: الكشاف ٧٣٣/٢، والتفسير الكبير للرازي ٣٤٧/١٠ .

آخرها هو الذي يعوقه عن تحقيق هذه الغاية، ويحول بينه وبين الارتداد سريعاً إلى تقصي الأثر للقاء العبد الصالح، ومن ثم يطوي الكلام طياً بحذف الياء من آخر الكلمة؛ لتمثيل هذه الحالة الشعورية المسيطرة، وتصويرها أكمل تصوير.

وبرهان هذا التحليل من سياق الكلام نفسه؛ حيث عطفت الجملة القائمة مقام السبب: "فارتدا على آثارهما قصصاً" بالفاء، التي تنبئ عن أن هذا الارتداد والرجوع كان على وجه السرعة المفرطة، ومن دون مهلة أو تراخ.

ومن فك الإدغام في "قصصاً" الذي يدل على فرط تحريه الأثر ودقته، واتباعه خطوة خطوة؛ لبلوغ الغاية المنشودة من لقاء العبد الصالح، والظفر بالمرام منه.

ومن إيثار اسم الإشارة: "ذلك" في حكاية القول، في مستهل الآية الكريمة، وما وراءه من إيجاز شديد، حيث طوى موسى- عليه السلام - بإيثاره، وأغنى بذكره عن إعادة قصة الحوت بكل جزئياتها وتفصيلاتها السابقة مرة أخرى، وتلك مزية من مزايا اسم الإشارة في الكلام؛ "يعين على التركيز والإيجاز، وتفادي التكرار الذي تترهل به الأساليب، ويتثاقل به وثوبها إلى القلوب، فقد تجد الباحث يعرض المسألة بتفاصيلها، ثم يحتاج إلى إضافة قيد أو ما يشبهه مما يعوزه إلى الإعادة، وحينئذ تسعفه أسماء الإشارة، فيسلك سبيلاً غير سبيل التكرار"(١).

وكذلك من الفاء ــ أيضاً ــ في مستهل قوله في إثر الآية موضع البحث:ــ "فوجدا عبداً من عبادنا ..."الآية. الذي يعد نتيجة طبعية لتقصي الأثر للوصول إلى العبد الصالح؛ فوجدانه لا يكون على هذا النحو من السرعة المفرطة ــ كما تنبئ عنه الفاء ــ إلا من شدة الحرص، ونهاية الشوق إلى لقائه، واللهفة العارمة إلى الوصول إليه، واستفراغ الجهد في سرعة تتبع الأثر والبحث عنه، والله أعلم.

وأما الموضع الرابع الذي حذفت فيه الياء من آخر الفعل فهو قول الله تعالى:ــ ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾[ق: ٤١] حيث حذفت الياء من الفعل المضارع "ينادِ"، وذلك على الوجه الذي سبق تفصيله وتحليله عند دراسة حذف الياء من "المناد" في باب المنقوص، فيكتفى بذكره هناك عن إعادته هنا؛ خشية التطويل بما لا يضيف إضافة جديدة، والله المستعان.

والموضع الخامس الذي حذفت منه الياء هو قول الله- تعالى- ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: ٥]، حيث حذفت الياء من "تغن" خطاً ونطقاً في الآية الكريمة.

والناظر في مقاصد الكلام ومراميه يجد

---

(١) خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى صـــ٢٠٧،٢٠٨ الطبعة الرابعة ١٩٩٦م ـــــ مكتبة وهبة ـــــ القاهرة .

أن الحذف هو الذي يتطابق ــ من وجه ــ مع مقام العظمة والكبرياء الإلهي؛ لدلالته على شدة السخط، ونهاية الغضب؛ بما فيه من إيحاء قوي بإهمالهم، وعدم المبالاة بهم، أو الاعتداد بشأنهم، وتجاوز الحديث معهم سريعاً إلى مقام إنذارهم وتخويفهم، وتهديدهم ووعيدهم بما حل بالأمم السالفة من هلاك ودمار.

كما يتطابق ــ من وجه آخر ــ مع مقتضى حال الكافرين السادرين في الغي والإعراض، والتكذيب واتباع الأهواء، وعدم الانتفاع بالآيات والزواجر، وما كان من انشقاق القمر أمام أعينهم؛ لإيحائه ــ بما فيه ــ من دلالة السرعة ــ بعدم غناء الحكمة والنذر بالكلية، وندائه على فوات النفع بها مطلقاً، ومن كل الوجوه، ولو ذكرت الياء لفات هذا المعنى، بل ربما أوهم الذكر غناءها نوعاً من الغناء، ولو على وجه القلة والندرة، أو من بعض الوجوه دون بعض.

وقرينة هذا المعنى من " ما " الداخلة على الفعل موضع الشاهد؛ فقد جوزوا فيها أن تكون استفهامية للإنكار الذي يئول إلى النفي، على أن يكون المعنى: فأي غناء تغني النذر؟[1]

ومن سياق الكلام بعده من قوله: "فتول عنهم"؛ إذ لو أغنت الآيات والنذر عن الكافرين شيئاً، ولو من بعض الوجوه لما أمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالإعراض عنهم ومتاركتهم.

على أن ثمت ما يقتضي الحذف غير ما سبق؛ إذ هو الذي ينسجم في جرسه، وسرعة إيقاعه مع إيقاع السورة الكريمة القوي السريع المتلاحق، وبرهان هذا من قصر القرائن التي خرجت مخرجها السورة الكريمة، فقد بنيت من أولها إلى آخرها على مقاطع قصيرة مغلقة، فما تكاد تبدأ القرينة إلا ريثما تنتهي.

ومن صورة ما عرضته السورة الكريمة من قصص القرون البائدة، فقد عرضت لنماذج وأنماط من هلاك الأمم والقرون الخالية على وجه السرعة والاقتضاب، ومن دون تفصيل، فما تكاد تفتتح القصة إلا وتجدك أمام نهايتها الوخيمة، وذكر الياء وما فيها من امتداد النفس بصوت مدها لا يتناغم مع هذا الجانب، ولا يفي بحاجته.

وأخيراً: فإن حذف الياء من آخر الفعل هو الذي ينسجم ــ أيضاً ــ مع إخراج النسق الكريم في بنيته العامة مخرج الحذف؛ ابتداءً في النسق القريب بحذف المبتدأ من جملة :ــ "حكمة بالغة"، والتقدير: هو حكمة بالغة، أو هذه حكمة بالغة، ومروراً بحذف مفعول الفعل "تغن" نفسه؛ قصداً إلى العموم والشمول، ورعاية لجانب الإيقاع في الفواصل، وانتهاءً بحذف الواو من الفعل المضارع "يدع" والياء من الفعل الأمر في "فتول"، ومن الاسم المنقوص "الداع" في

(١) ينظر: الكشاف ٤/٤٣٢ .

قوله – تعالى:– "فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر"، وقوله:ــ "مهطعين إلى الداع" فكان أن حذفت الياء من "تغن" تحقيقاً لهذا التوافق في دلالات الخصوصيات، وذلك على الوجه الذي سبق تفصيله في أكثر من موضع.

وإنما آثر النظم الكريم صيغة المضارع "تغن"؛ للدلالة على عدم تجدد الإغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره[1].

وأما الموضع الأخير فقد جاء في قول الله ــ تعالى ـــــ:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ [الفجر: ٤]، حيث حذفت الياء من آخر الفعل المضارع "يسر"، وذلك على خلاف الأصل؛ "لأن الأفعال لا يحذف منها شيء؛ لأنها لا تذهب في الوصل في حال، وذلك: لا أقضي، وهو يقضي، ويغزو، ويرمي، إلا أنهم قالوا: "لا أدر" بالحذف في الوقف؛ لأنه كثر في كلامهم"[2]، وقد ذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن[3] ، والأخفش في معاني القرآن[4] نحواً من الكلام السابق.

هذه وجهة العلماء في تفسير الحذف في هذا الموضع، لكن الناظر إليه، والمتأمل فيه بعيداً عن هذه الدائرة الضيقة يجد أنه أوسع سعة، وأبعد غوراً، وأعمق أثراً، وأكثر تصويراً مما فسروه به؛ ذلك أنه ــ أولاً ــ هو الذي يدور في الإطار العام من تناغم الجرس، وتناسق الإيقاع في فواصل الآي الكريمة التي ختمت بروي الراء في الآيات السابقة واللاحقة:ــ ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ ﴾[الفجر: ١:٥] .

ولو ذكرت الياء فقيل: "يسري" لانكسر هذا الإيقاع انكساراً حاداً، وتلاشى الحسن الكائن في توافق الفواصل وتساوقها على هذا النحو الذي جاءت عليه، ولعل هذا هو السر في إيثار صيغة المضارع دون الماضي، مع أن الأصل في "إذا"، والغالب عليها أن يأتي بعدها الفعل الماضي؛ للدلالة على تحقق الوقوع؛ لأن الشرط مجزوم معها بحصوله؛ فإن صيغة المضارع وحدها هي التي يحصل بها هذا التناغم.

ولأنه ــ ثانياً ــ هو الذي يجعل الكلمة ــ إلى جانب جرسها الناشئ من أصواتها، ومن السين والياء خاصة[5] ــ تسري في

---

(١) ينظر: الكشاف ٤٣٢/٤ ، والفخر الرازي ٦١/١٥ ، وأبو السعود ١٦٨/٨.

(٢) الكتاب لسيبويه ١٨٤/٤.

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ٢٩٧/٢ ــ تحقيق/ محمد فؤاد سزكين ـــــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ١٣٨١هـــ .

(٤) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٤٤٣/١ .

(٥) فإن ما تتسم به السين من صفات الهمس والرخاوة، وكذلك ما تتسم به الياء من صفة الرخاوة يجعلهما ألصق بهذه المعاني، وأكثر تصويراً لها، ولذلك يهرب إلى الياء من التضعيف في باب "تظنين" وهو الفعل الذي

المخارج سريان الماء في يسر وسهولة، وخفاء وسرعة لينعكس أثر هذا على المعنى المقصود تشخيصاً وتجسيداً، إذ يصور الحذف، وجرس الكلمة بهذه الدلالات السابقة سرى الليل ومضيه في يسر وخفاء، ولطف ورقة وسرعة، حتى ينسلخ وما يشعر به، ولعل هذا ــ أيضاً ــ هو السر في إيثار صيغة المضارع؛ إذ هي التي تتناسب ــ بمعطيات الحذف السابقة، إلى جانب دلالتها على استحضار الصورة ــ مع مقام الكلام الذي جاء لتصوير ما في التعاقب حالاً بعد حال، وعلى وجه التجدد والاستمرار من قوة الدلالة على كمال القدرة.

وقرينة هذا التحليل من سياق الكلام، ومن إسناد السرى إلى ضمير الليل خاصة، وذلك على طريقة المجاز العقلي؛ للمبالغة والتأكيد؛ إذ الليل هو وقت السرى وزمانه.

"الصورة الثانية"

"حذف الواو من آخر الفعل المضارع"

****

حذف الواو من آخر الفعل المضارع قليل الدوران ــ كسابقه ــ في كتاب الله ــ تعالى ــ حيث لم يقف البحث من صوره في القرآن إلا على صورتين اثنتين، جاءتا في أربعة مواضع من الكتاب العزيز.

أما الصورة الأولى فتتمثل في الفعل المضارع من "دعا" وقد استحوذ الحذف من هذه الصورة على النصيب الأوفى من المواضع الأربعة، حيث حذفت الواو من آخر الفعل المذكور في ثلاثة منها، جاء أولها في قوله- تعالى-:﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١] .

وحذف الواو من آخر الفعل "يدع" في مستهل الآية الكريمة هو الذي يتطابق مع مقتضى حال الإنسان، ويتوافق مع طبيعة الجبلة البشرية التي خلق الله الناس عليها، والمدلول عليها من سياق الكلام، وذلك من قوله ــ تعالى ــ في فاصلة الآية الكريمة :ــ "وكان الإنسان عجولاً"؛ لأنه هو الذي يصور ــ على أكمل وجه وأتمه؛ بما فيه من دلالة على نهاية السرعة، وغاية اليسر والسهولة ــ هذه العجلة، ويجسد حال الإنسان في شدة الحرص، وفرط اللهفة إلى تحصيل الخير وحيازته، حتى إنه قد يطلب الشر ويدعو به من فرط عجلته، وهو يطلب الخير ويدعو به، وذلك على النحو الذي صورته وقررته الآية الكريمة.

وهو الذي يتناغم ــ من وجه آخر ــ مع طبيعة الموقف الذي نزلت فيه الآية الكريمة؛ فقد جاء في أسباب النزول أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً، فأقبل يئن بالليل،

ثلاثيه فيه العين واللام حرف مكرر، مثل: "ظن، وصد، ولب، ودس"، كما يهرب إليها من يلثغ في نطق الراء أو اللام. ينظر: الكتاب لسيبويه ٤٥٣/٤ .

فقالت له: ما لك تئن؟ فشكا ألم القد، فأرخت من كتافه، فلما نامت أخرج يده وهرب، فلما أصبح النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دعا به، فأعلم بشأنه، فقال النبي ــ عليه والصلاة والسلام ــ: "اللهم اقطع يديها" فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة، وأن يقطع الله يديها، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة؛ لأني بشر أغضب كما يغضب البشر، فلترد سودة يديها"[1]، فإن المقام مقام ضيق؛ بسبب الانفعال والغضب، والحذف هو الذي يجسد- بدلالته السابقة-شدة غضبه- صلى الله عليه وسلم -على سودة- رضي الله عنها - ويبرز ضيق صدره بما فعلت، ويصور فرط مبادرته إلى الدعاء عليها؛ فإن الانفعال والغضب مدعاة إلى العجلة، وعدم التريث؛ بقرينة قوله- صلى الله عليه وسلم - في آخر الحديث:ــ "لأني بشر أغضب كما يغضب البشر".

وأما ثاني المواضع فقد جاء في قوله ــ سبحانه ــ:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾[القمر: ٦]، وقد سبق تحليل هذه الآية في مبحث حذف الياء من المنقوص معرفاً، فنحيل القارئ إليه هناك، اكتفاءً بذلك عن إعادته ــ هنا ــ والله المستعان.

وأما ثالث المواضع وهو قول الله ــ تعالى:ــ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾[العلق: ١٨] فإن حذف الواو من آخر الفعل المضارع "سندع" وما يترتب عليه من خطف اللسان الكلمة عند النطق بها خطفاً هو الذي يقتضيه مقام الآية الكريمة الذي جاء في التهديد والوعيد؛ لأنه الذي يتطابق مع مقتضى حال المهدِّد، والمهدَّد، وطبيعة الأمر المهدد به.

أما الأول: فلتطابق الحذف مع مقام العظمة والفخامة، ومقتضى الكبرياء الإلهي؛ لما فيه من دلالة على يسر الدعوة، وكمال سهولتها على الله ــ تعالى ــ، وفرط ندائه على تفخيم الأمر وتهويله.

وأما تطابقه مع مقتضى حال المهدَّد ــ وهو أبو جهل لعنه الله، وذلك على ما جاء في أسباب النزول من أنه مر برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يصلي، فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً؟ فنزلت[2]؛ فلما في الحذف من غاية الإهانة والإذلال له، ونهاية التهوين من شأن هذا الطاغية المتكبر؛ لإيحائه ــ بسمته السابقة ــ بقوة الأخذ، وشدة البطش في غير إمهال، وما وراء هذا من دلالة على أنه لا يؤبه له، ولا يلتفت إليه، وليس ذا قيمة ولا وزن.

وأما وجه انسجامه مع طبيعة الأمر

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٦٥١/٢ .

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي النيسابوري صـــ٤٦٠ ، والكشاف للزمخشري ٧٧٩/٤.

المهدد به فلما في الحذف من دلالة على سرعة إجابة المدعوين ــ وهم الزبانية ــ وامتثالهم، وفرط مبادرتهم إلى تنفيذ الأمر الإلهي، ومن دون مهلة أو تراخ.

ودليل هذه المطابقة وقرينتها من إسناد الفعل موضع البحث إلى ضمير العظمة والفخامة، وكذلك من قراءة من قرأ الفعل نفسه مبنياً للمفعول، على هذا النحو:ــ "سَيُدْعَ"[1]؛ فإن في كل ذلك تفخيماً للأمر وتهويلاً له.

وأخيراً فإن الحذف يحقق مطلباً جمالياً يتعانق مع الدلالات السابقة على تصوير المقام وتجسيده؛ إذ يحدث نوعاً من التناسق في الشكل بين عناصر النسق الكريم، فقد تقدم عليه في الآية السابقة الأمر من الفعل نفسه موضع البحث في قوله: ــ "فليدع"، محذوف الواو جزماً، فكان أن حذفت من "سندع" خطاً ونطقاً؛ ليكون موافقاً لنظيره المتقدم، وعلى لفقه في الشكل والهيئة، ومثل هذه الخصوصيات مقصود إليها في أنساق الكلام؛ لما يتوارى خلفها من دقائق واعتبارات، ترتد إلى الغرض بالتقرير والتأكيد، وإلى الإيقاع تجاوباً وتساوقاً، وإلى الجرس تناغماً وتوافقاً يطري الأسماع إلى الإنصات، ويستميل القلوب إلى التفكر والتأمل في حقيقة المعنى المراد.

والصورة الثانية التي حذفت منها الواو يجسدها الفعل المضارع "يمح" في قول الله ــ تعالى :ــ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الشورى: ٢٤] .

وحذف الواو من آخر "يمح" خطاً ونطقاً يجري في الآية الكريمة على خلاف الأصل؛ فإن حقها الإثبات؛ لعدم وجود الداعي إلى الحذف؛ إذ الفعل ليس معطوفاً على جملة الجزاء في الشرط السابق، وهو قوله: "فإن يشأ الله يختم على قلبك"، بل الجملة مستأنفة لتقرير نفي الافتراء السابق من المشركين في حقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في قوله:ــ "أم يقولون افترى على الله كذباً"؛ إذ هي كالدليل والبرهان على ما قاله المشركون في حقه، ببيان أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ لو افترى على الله كذباً ــ وحاشاه ــ لمنعه من ذلك قطعاً[2].

وإنما خرج النسق الكريم مخرج الحذف مع جريانه على خلاف الأصل؛ لأنه الأقوى في تأنيس نفسه ــ عليه الصلاة والسلام ــ وتطمين قلبه وتسكينه، الآكد في تثبيته على الحق الذي هو عليه، وذلك ــ باعتبار ــ في مقام عدته ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن الله يمحو الباطل الذي عليه المشركون من البهت والتكذيب، ويثبته على الحق الذي هو عليه بالقرآن، وبقضائه النافذ

(١) ينظر: البحر المحيط ٤٩٥/٨ .

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري ٢٢١/٤ ــ٢٢٢ ، وأبو السعود ٣١/٨ ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١١٦٩/٢ .

الذي لا مرد له من نصرته عليهم.

وكذلك في مقام وعيد المشركين وتهديدهم بالتأكيد على أن دينهم زائل، وباطلهم الذي هم عليه مضمحل باعتبار آخر؛ فإن الآية الكريمة جاءت في سياقها عدة للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــــ، وتهديداً ووعيداً للمشركين؛ ببيان قدرة الله ــ تعالى ــ على كل ذلك، ورداً على مقالتهم في النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإبطالها، واستبعاد الافتراء من مثله ــ صلى الله عليه وسلم[1].

وإنما كان الحذف هو الأوفق بطبيعة هذه المقامات؛ لدلالته على تحقق الوعد وثبوته، وإيقاع التهديد ولحوقه؛ فإن ما يحصل بالحذف من سهولة الكلمة في النطق، وخفتها في المخارج، وسرعتها في الأداء يرتد أثره إلى المعنى المراد تصويراً وتقريراً؛ تصويراً لسرعة زوال الباطل، وتقريراً لشدة اضمحلاله، وقوة زهوقه.

وثمت ما يقتضي الحذف غير ما سبق، وينادي عليه، وهو ما تتضمنه الآية الكريمة في مطلعها من رد على مقالة المشركين السابقة من نسبة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الافتراء والكذب، وتحقيق بطلانها[2]؛ لدلالة الحذف ــ بسمته السابقة ــ على قوة الرد، وسرعة الحسم، وشدة المجابهة، وهذا مقصود إليه في مقام عدته ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛ إذ فيه ما لا يخفى من زيادة تثبيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الحق الذي هو عليه، وتأنيسه، وتطمينه، وتسليته، والتسرية عنه؛ لندائه على قوة موقفه، وسطوع حجته، وظهور برهانه.

وفي الحذف ــ أيضاً ــ تحقيق نوع من التناسب والتناغم بين لفظ "يمح" موضع الشاهد، وبين مقابله "يحق"؛ ليحصل إلى جوار تضادهما في المعنى تناسقهما في الشكل والهيئة، حتى يكون كلاهما مكوناً من ثلاثة أحرف، مع ضم الحرف الأخير من كل منهما، وهذا يضفي على المعنى أبعاداً زائدة من التقرير والتأكيد، لا تنهض بها الواو؛ إذ لو أثبتت في آخر الكلمة لفاتت كل هذه الدلالات؛ لما يحصل بالذكر من ثقل الكلمة في المخارج، وبطئها في الأداء؛ بسبب امتداد النفس بصوت مدها عند النطق بها.

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/٢٢١ ــــ٢٢٢ ، وأبو السعود ٨/٣١ .

(٢) ينظر: البحر المحيط ٧/٥١٧ .

"الصورة الثالثة"

"حذف النون من آخر فعل الكون المضارع"

****

يعد حذف النون من آخر فعل الكون المضارع أكثر صور حذف اللام من الفعل المضارع في القرآن الكريم ؛ حيث بلغت مواضعه في كتاب الله ــ تعالى ــ أكثر من ستة عشر موضعاً، في سياقات ومقامات مختلفة، ولمعان وأغراض متنوعة، وقد جاءت على حسب ترتيبها في المصحف الشريف على النحو الآتي:ــ

قال تعالى:ــ

١ــ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[النساء: ٤٠]

٢ــ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

٣ــ ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦٓ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ [التوبة:٧٤].

٤ــ ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [هود: ١٧] .

٥ــ ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴾ [هود: ١٠٩] .

٦ــ ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] .

٧ــ ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].

٨ــ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكِ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: ٩].

٩ــ ﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ [مريم :١٤].

١٠ــ ﴿ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: ٦٧]

١١ــ ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:١٦] .

١٢ــ ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ [غافر: ٥٠]

١٣ــ ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ ﴾[غافر: ٨٥].

١٤، ١٥ــ ﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴾ [المدثر: ٤٤].

١٦ــ ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧] .

وقد وجه العلماء حذف النون من آخر فعل الكون المضارع من دون علة في

الآيات السابقة بعدم مشابهة النون الغنة المحضة، فأشبهت حروف اللين، ووقعت طرفاً، فحذفت؛ تشبيهاً بها، كما تقول: "لم يدع، ولم يرم، ولم يل"، وتخفيفاً من كثرة الاستعمال، وإنما اقتصر في حذفها على آخر المضارع من الكون دون غيره مما هو على شاكلته من الأفعال المضارعة مما آخره النون، كـــ"لم يزن، ولم يخن" وغيره؛ لأن "كان" هي أم الأفعال ــ على حسب تعبيرهم ــ؛ إذ كل فعل قد حصل فيه معنى "كان"؛ فقولنا:ــ "ضرب" معناه: كان ضرب، و"يضرب"، معناه: يكون ضرب، وهكذا كل الأفعال، فاحتيج إلى استعمالها في أكثر الأوقات، فاحتملت هذا الحذف، بخلاف غيرها(١).

وهذا التوجيه السابق في تعليل ظاهرة حذف النون من غير مقتضى في آخر فعل الكون المضارع، وبيان مناشئها لا يعدو أن يكون توجيهاً لغوياً وفلسفياً خالصاً، دون أن يمس شغاف البلاغة، ودون أن يفتش عما وراءه في كل موضع حذفت فيه النون من دواع ومقتضيات تنبثق من السياق، وتتولد من طبيعة المواقف المصورة.

فالآية الكريمة الثانية:ــ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٥٣] جاءت في سياق آيات تحدثت عن سنة الله ــ تعالى ــ الجارية في إهلاك الطغاة الذين كفروا وكذبوا بآيات الله ــ تعالى ــ من آل فرعون والذين من قبلهم في قوله ــ سبحانه :ــ "كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله" الآيات. وذلك في إثر بيان ما حل بمشركي قريش من هزيمة في غزوة بدر وتصويره؛ لتقرير هذه السنة وتوكيدها؛ فإن الآية موطن الشاهد سيقت مساق التعليل لما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطاً بأعمالهم السيئة، غير واقع من دون سابقة ما تقتضيه من الكفر والتكذيب، كما يدل عليه قوله في الآية السابقة:ــ "كفروا بآيات الله فأخذهم الله"، وهو المشار إليه في مطلع الآية الكريمة موطن البحث، لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام، كما قيل؛ فإنه مع كونه معللاً بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته ــ تعالى ــ على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم، وتوهم أن السبب ليس ما ذكر، كما هو منطوق النظم الكريم، بل يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته ــ تعالى ــ على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم، بناءً على تخيل أن المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل، وإبعاد عن الحق بمراحل، وتهوين لأمر الكفر بآيات الله، وإسقاط له عن رتبة إيجاب العقاب في مقام تهويله، والتحذير

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ١٨٤/٤، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٥١٧/٧ .

منه، فالمعنى:ــ ذلك، أي: ترتب العقاب على أعمالهم السيئة دون أن يقع ابتداءً مع قدرته ــ تعالى ــ على ذلك[١].

وحذف النون من آخر الفعل هو الذي يقتضيه مقام تهويل العقاب وتفخيمه، وتحذيره وتخويفه ــ حسبما سبق تفصيله ــ؛ لندائه ــ من وجه ــ على كمال يسره، ونهاية سهولته على الله ــ تعالى ــ وإيحائه بسرعة وقوعه وحصوله، لو تعلقت به المشيئة الإلهية.

ودلالته ــ من وجه آخر ــ على اطراد هذه السنة ومضائها، وقطعيتها دون أن يعوقها عائق، أو يحول دون سيرها حائل، فإن ما يحصل بذكر النون في هذا السياق ــ لو ذكرت ــ من نوع تقييد لحركة النظم، وبطء في الإيقاع قد يوهم بتخلفها، وعدم اطرادها ومضائها.

على أن ما يتعلق بحذف النون من آخر الفعل ــ ههنا ــ من معاني اليسر والسهولة، ودلالات السرعة هو الذي يتطابق مع ما في الآية الكريمة من تقرير وتأكيد، وتحقيق وتشديد؛ لوقوعها موقع العلة لما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب والانتقام منوطاً بأعمالهم السيئة، غير واقع بلا سابقة ما تقتضيه، لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام؛ فإنه أقوى تقريراً وتأكيداً، وأبلغ تحقيقاً وتشديداً من الذكر؛ لما يترتب عليه من إزالة ما قد يقع في الوهم، ودفع ما قد يرد في الخاطر من أن ما يغط فيه الطغاة والجبابرة من جاه وسلطان، وقوة وتمكين، وجبروت واستعلاء، راسخ لا يزول، وثابت لا يتغير ولا يتبدل؛ لضعف أسباب زواله، وانعدام وسائل تحققه في ظاهر الأمر، فكان في الحذف دافع لهذا الوهم، وإزالة لهذا العارض، وإنباء بسرعة وقوعه وحصوله؛ بتصوير يسره وسهولته.

ويأتي حذف النون من فعل الكون المضارع في الموضع الثالث:ــ ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[التوبة:٧٤]، وقد اقتضاه مقام الآية الكريمة التي نزلت في الجلاس بن سويد الذي قال: لئن كان ما يقول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حقاً في إخواننا الذين خلفناهم[٢]، وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير، فقال عامر بن قيس الأنصاري ــ وكان حاضراً ــ للجلاس: أجل، والله إن محمداً لصادق، وأنت شر من الحمار، وبلغ ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاستحضره، فحلف بالله ما قال، فرفع عامر يديه، فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب، وتكذيب

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٨/٤ .

(٢) يقصد الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أقام بتبوك شهرين، ينزل عليه القرآن، ويعيب على المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم، وكان منهم الجلاس بن سويد، فقال ما قال.

الصادق[1]، فنزلت، فقال الجلاس: يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة، والله لقد قلت، وصدق عامر، فتاب الجلاس، وحسنت توبته[2]، فإن في حذف النون من آخر الفعل تحريضاً على المسارعة إلى التوبة، وحثاً عليها بقوة، وترغيباً فيها بشدة؛ لما في الحذف ــ أولاً؛ بما يترتب عليه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج ــ من المبالغة في الدلالة على نهاية لطف الله ــ تعالى ــ بعباده، وسعة رحمته، وكمال رأفته بهم؛ حيث فتح لهم باب التوبة، وقبل منهم الحوبة والإنابة إليه مع عظيم ذنبهم، وفداحة جرمهم.

ولما ينبئ عنه ــ ثانياً ــ من سهولة التوبة نفسها، ويسر الإنابة والرجوع إلى الله ــ تعالى ــ؛ لمن صحت نيته، وصدقت عزيمته، وتلبس بأسبابها ومقدماتها.

ولما فيه ــ ثالثاً ــ من التعجيل بذكر المسرة المتحققة من وراء التوبة، والتي تمتلئ بها النفس انشراحاً وانبساطاً؛ بذكر الخبر من مادة الخيرية :ــ "يك خيراً لهم " على وجه السرعة؛ لتكون النفوس فيها أرغب، وعليها أحرص، ولها أطلب.

ومن وجه آخر: فإن حذف النون من آخر الكلمة هو الذي ينسجم ــ بدلالته على السرعة والسهولة ــ مع الإيقاع السريع الذي تتسم به الأحداث في الآية الكريمة، وحصولها على وجه السرعة والتتابع، وقرينة هذا من إيثار صيغة الماضي في تصوير أغلب هذه الأحداث، وذلك نحو:ــ "ما قالوا ــ ولقد قالوا ــ وكفروا ــ وهموا ــ وما نقموا ــ إلا أن أغناهم"، وما وراء هذه الصيغ ــ خاصة ــ من دلالة على تحقق الوقوع وتأكده، وسرعة حصوله.

ومن العطف بين هذه الأحداث بالواو خاصة، والذي ينبئ عن اشتراكها من حيث الحصول في زمن واحد، ولو ذكرت النون لأدى هذا ــ لسكونها جزماً ــ إلى بطء حركة الإيقاع، وهو ما ينعكس سلباً على تصوير حركة الأحداث؛ فإن السكون على النون في آخر الفعل يشبه القيد الذي يقيد حركة الكلمة في المخارج، وتثقل به نوعاً من الثقل في النطق.

كما أن حذف النون من آخر الفعل هو الذي يحصل به نوع من تماثل الشكل، وتناغم الجرس في الجملة الشرطية التي وقع فعل الكون موضع الشاهد في جوابها؛ فقد جزم فيها فعل الشرط:ــ "يتوبوا" على حذف النون، فكان أن حذفت من فعل الجواب "يك" من دون مقتضى؛ لتحقيق التماثل في الشكل، والتناغم في الجرس بين فعل الشرط وجوابه، وهذا وذاك مما ينعكس إيجاباً على المعنى المراد إثباته، وعلى الغرض المراد تصويره.

---

(١) لعله تصديق الصادق، وتكذيب الكاذب، ويمكن أنه جعل نفسه كاذباً، والجلاس صادقاً؛ لأنه مقتضى ظاهر الحلف. ينظر: حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف ٢٩١/٢ ــ الطبعة الثالثة ١٩٨٧م ـــ دار الريان للتراث.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي النيسابوري صـــ٢٥٠، والكشاف للزمخشري ٢٩١/٢.

والموضعان الرابع والخامس :ــ ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [هود: ١٧] ، ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ ﴾ [هود: ١٠٩]، جاءا في سياق سورة هود؛ للنهي ــ في الأول ــ عن الشك في القرآن، إثر بيان أن النار هي موعد من يكفر به في قوله:ــ "ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده"، وللنهي ــ في الثاني ــ عن الشك في بطلان ما يعبده هؤلاء الكافرون من أوثان، وذلك في إثر بيان غاية سوء حال الكافرين، وكمال حسن المؤمنين في قوله: ــ "فأما الذين شقوا ففي النار...." الآيات، وقوله:ــ "وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ..." الآية[١]. والمخاطب بكل منهما على ما قيل هو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، أو كل من يتأتى خطابه، سواء أكان ممن يظن به أنه يشك في ذلك أو لا يشك، على قول آخر[٢].

وقد خرجت الجملتان موضع البحث مخرج التأكيد والتحقيق؛ بإتباع النهي في كل منهما بعلته، وسببه المصحح له، وبرهانه المقتضي له في منطقه المستقيم، على طريقة الاستئناف البياني في كل منهما؛ وذلك قوله في الأولى:ــ "إنه الحق من ربك"؛ فهو لوضوح حقيته لا ينبغي أن يمتري في صدقه، وقوله في الثانية:ــ "ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل"، فهم وآباؤهم سواء في الشرك، ما يعبدون شيئاً إلا مثل ما عبدوه من الأوثان، ولقد بلغك ما لحق بآبائهم من سوء المصير، فسيلحقهم مثل ذلك؛ فإن تماثل الأسباب يقتضي تماثل المسببات، والعدول إلى صيغة المضارع في قوله:ــ "إلا كما يعبد آباؤهم من قبل"؛ لحكاية الحال الماضية؛ لاستحضار حالتها في الذهن[٣].

فالمقام في تأكيد النهي وتحقيقه، وتقريره وتشديده، بقرينة إتباع النهي في الموضعين بعلته، وذلك على النحو الذي سبق تفصيله؛ وبقرينة فاء التفريع في مستهل الجملتين: "فلا تك"؛ فإنها تكسب السامع يقيناً بحقية القرآن وصدقه في الأولى، وببطلان ما عليه عبدة الأوثان، وخيبة مسعاهم، وما أملوه فيهم من الشفاعة في الثانية[٤] .

وحذف النون من آخر الفعل المذكور في الموضعين هو الذي يقتضيه هذا المقام ويتطلبه؛ لدلالته على خطورة الأمر، وعظم المنهي عنه؛ لما في الحذف من تعجيل بذكره، وفرط مبادرة إلى إماطة اللثام عنه؛ بترك ما يمكن الاستغناء عنه، حتى يتجه القصد إليه، ويتعلق الذهن به مباشرة؛ إذ هو المطلوب الأهم في هذا السياق.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٤٣/٤ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٢٧/١١ ــ٣٣٣ .

(٣) ينظر: أبو السعود ٢٤٣/٤ ، والتحرير والتنوير ٢٢٧/١١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٢/١١ .

ولما فيه من إيحاء بأنه لا ينبغي أن يعرض للقلب أدنى عارض من شك أو ريبة في حقية القرآن، وفي بطلان ما عليه عبدة الأوثان، وأن يتجاوز الفكر هذه الوساوس على وجه السرعة، حتى لا يتعلق الوهم منها بشيء فاسد، والله أعلم.

أما حذف النون من فعل الكون في الموضع السادس:ــ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وفي الموضعين الرابع عشر والخامس عشر:ــ ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ [المدثر:٤٤]، فهو الذي يقتضيه مقام الآيات الكريمة، ويتطابق على أكمل وجه وأتمه مع مقتضيات الأحوال فيها، فمقامها مقام ضيق، إما بسبب الهم والحزن، والغم والألم، وذلك في آية النحل؛ فإنها في تسلية النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، والتخفيف عنه من وقع المصاب الذي ألم به يوم أحد، ومن شدته، وذلك من التمثيل بأصحابه، والعبث بأجسادهم، وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب ــ رضي الله عنه ــ؛ فقد جاء في أسباب النزول أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما وقف على حمزة يوم أحد، وقد مثل به، وقد بقرت بطنه، واصطلم أنفه، ورأى منظراً لم ير قط منظراً أوجع لقلبه منه أقسم: لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك" فنزل قوله: ــ "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به..." الذي جاءت الآية موضع البحث في سياقه، فكفر عن يمينه، وكف عما أراده[1].

وإما بسبب الهول والكرب، والألم والضنك من فرط العذاب وشدته؛ بدخول النار، وفي سقر خاصة، حسبما جاء في وصفها قبل ذلك، كما في موضعي المدثر، فقد جاءا في سياق جواب المجرمين عن سؤال أصحاب اليمين إياهم عن سبب دخولهم سقر، في قوله ــ سبحانه:ــ "إلا أصحاب اليمين. في جنات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين" [المدثر: ٣٩ــ ٤٤].

وحذف النون من آخر الفعل المضارع هو الذي يجسد منتهى الكرب، ويصور غاية الضيق في الموقفين المتباينين: موقف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مما أصاب عمه وأصحابه في أحد، وموقف المجرمين مما تلبسوا به، ووقعوا فيه من غصص العذاب، وصنوف الهول والبلاء، والكرب والشدة في سقر؛ فإن النفس البشرية تجنح في مقامات الضيق إلى الإيجاز والاقتصاد في العبارة؛ نزولاً على متطلبات الفطرة الإنسانية التي يجهدها الإعياء والتعب في هذه المقامات، ونزوعاً إلى الوحدة والعزلة، تجنباً لمزيد من الإثارة والانفعال، أو الإجهاد والتعب.

ومن وجه آخر: فإن الحذف من آخر

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي النيسابوري ص٢٨٤ .

الفعل في آية النحل هو الذي يعمل عمله ــ من خلال هذه الحركة السريعة الخاطفة على الكاف بعد حذف النون ــ في هدهدة التوتر وتسكين ثائرة الغضب، وحدة الانفعال، وتخيف الثقل الجاسم على صدر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وينفس عنه بعض ما يعتصر قلبه من هم وحزن في هذا الموقف الحزين المفعم بالضيق والألم.

وهو الذي يحقق نوعاً من التوافق والانسجام بين هذه الآية وبين قوله في الموضع السابق من السورة نفسها:ــ "إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين" الذي جاء هو الآخر بحذف النون من فعل الكون المضارع(١)؛ تعجيلاً بنفي الشرك عن إبراهيم ــ عليه السلام ــ نفياً مؤكداً، ومسارعة إلى تقرير كونه على الحنيفية السمحة البيضاء التي لا يشوبها أدنى شائبة من شرك أو كفر.

وهو الذي يصور في موضعي المدثر مدى الإجهاد والتعب، ويجسد شدة المعاناة والضجر مما تلبس به المجرمون في سقر، وأحدق بهم من كل جانب، حتى إنهم من فرط الهول الذي نزل بهم، وشدة العذاب الذي وقع عليهم لم تعد عندهم طاقة على الاحتمال، ولا قدرة على إتمام الكلام، والله أعلم.

وأما الموضعان الثامن والتاسع وهما قول الله ــ تعالى ــ في تطمين زكريا ــ عليه السلام :ــ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٩]، وقوله ــ تعالى ــ حكاية عن مريم في ردها على الملك حين أخبرها أنه رسول ربها إليها ليهب لها غلاماً زكياً:﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم :١٤]، فإن ما يتسم به المقام في الآيتين الكريمتين من غرابة؛ لخروج الأمر فيهما عن المألوف والعادة مما يقتضي حذف النون من آخر الفعل في الموضعين دون ذكرها.

أما في الأول فلأنه الأسرع في طمأنة زكريا ــ عليه السلام ــ، الأكثر إيناساً لنفسه، الأقوى في إزالة تعجبه واستغرابه؛ لدلالة الحذف على منتهى سهولة الأمر، وكمال يسره على الله ــ تعالى ــ، وهو ما بشر به من الغلام على هذه الحال التي عليها هو وزوجه، والمدلول عليها من قوله ــ سبحانه:ــ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٨]؛ بقرينة قياسه إلى ابتداء خلق البشرــ أولاً ــ في الجملة موضع البحث؛ إذ هو الواقع إثر العدم المحض، لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد، وإنما لم ينسب ذلك إلى آدم ــ عليه السلام ــ مباشرة، مع كفايته في إزالة الاستبعاد؛

---

(١) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني صـــ١٦٣ .

بقياس حال ما بشر به على حاله ــ عليه السلام ــ؛ لتأكيد الاحتجاج به، وتوضيح منهاج القياس، حيث نبه بنسبته إلى زكريا إلى أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشاء آدم ــ عليه السلام ــ من العدم، ولما كان خلقه ــ عليه الصلاة والسلام ــ على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصوراً على نفسه، كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه، وأدل على عظم قدرته ــ تعالى ــ وكمال علمه وحكمته، وكان عدم زكريا ــ حينئذ ــ أظهر عنده وأجلى، وكان حاله أولى أن يكون معياراً لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور إليه؛ توفية لمقام الامتنان حقه، فكأنه قيل: وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم، ولم تكن إذ ذاك شيئاً أصلاً، بل عدماً بحتاً، ونفياً صرفاً[1].

وأما في الثاني: فإن الحذف هو الذي يصور ــ من خلال هذه الحركة السريعة الخاطفة على الكاف بعد حذف النون الساكنة ــ فرط مبادرتها إلى الرد، ويجسد شدة حرصها، وسرعة مجابهتها واعتراضها واستبعادها لما أخبرها به الملك، وقوة مبالغتها في إعلان طهارتها، وتأكيدها على استبراء ساحتها من أن تنسب بسبب ذلك إلى الزنا والفجور.

هذا إلى جانب ما يضيفه الاستفهام الذي وقع في حكاية قول مريم في مستهل الآية الكريمة، والذي يحمل في طياته إنكاراً واستبعاداً وتعجباً، وكذا الجمل الحالية التي عطفت عليه إلى هذه الدلالات من زيادة تقرير وتأكيد.

فإذا انتقلنا من هذين الموضعين إلى الموضعين العاشر والسادس عشر، وهما قول الله ــ تعالى ــ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[مريم: ٦٧] وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧]، وجدنا أن الحذف فيهما هو الذي يقتضيه سياق الكلام ومقامه؛ فإن كل واحدة من الآيتين جاءت في سياق الاستدلال على إثبات قضية البعث والنشور؛ للحساب والجزاء؛ رداً على المنكرين الذين استبعدوا الإحياء بعد الموت مرة أخرى، وبالغوا في رفضه وجحده؛ بقرينة قوله ــ سبحانه ــ قبل موضع مريم: ــ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦]، وقوله بعده:ــ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]، وكذا بقرينة الآيات من بين يدي آية القيامة ومن خلفها؛ وذلك من خلال قياسه على سهولة الخلق على الله ــ تعالى ــ أول مرة، حسبما هو مركوز في الطباع من أن الإعادة أسهل من البدء، وإن كان الكل في قدرة الله – تعالى– سواءً.

وإنما كان الحذف هو الذي ينسجم

---

(١) ينظر: أبو السعود ٢٥٧/٥ ــــ٢٥٨ ، وروح المعاني للآلوسي ٣٨٩/٨ .

في سياقه، ويتطابق مع مقامه؛ لما فيه من قوة الرد، وشدة الدفع، وظهور الاستدلال، ولما فيه من إيحاء بالحسم والقطع؛ بقرينة قوله-تعالى- بعد آية مريم: "فوربك لنحشرنهم والشياطين" وقوله في ختام سورة القيامة: "أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى"، وإنما كان ذلك كذلك؛ لدلالة الحذف على كمال يسر البعث وسهولته على الله – تعالى – وندائه على فرط حصوله على وجه السرعة، كما كان الخلق أول مرة.

وفيه وجه آخر من أوجه الانسجام والتطابق، وهو الإيماء بالحذف إلى غاية ضعف مادة خلق الإنسان، والتنبيه إلى حقارة منشئه، وقد عدل الله منه ــ مع ذلك أولاً ــ بشراً سوياً، وخلقه في أحسن تقويم، أفلا يقدر على إعادته مرة أخرى؟؛ فإن اقتطاع حرف من آخر الكلمة هو من ضعف الأطراف، وكونها ــ لذلك ــ عرضة للتغيير، وذلك على النحو الذي قرره علماء العربية، وسبق تفصيله في باب المنقوص، والله أعلم.

فإذا جاوزنا هذا وذاك من المواضع السابقة إلى حذف النون من آخر فعل الكون المضارع، الواقع شرطاً لــ"إن" في قوله ــ سبحانه ــ في الموضع الأول:ــ ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾[النساء: ٤٠] وقوله في الموضع الحادي عشر:ــ ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:١٦] وجدناه في الموضع الأول يمثل وجهاً من وجوه المقام الذي جاء في جانب منه للمبالغة في تقرير مبدأ كمال العدل الإلهي وتأكيده، وتحقيق نهاية فضله، وغاية منه وتشديده؛ تأنيساً للنفوس وتطميناً للقلوب؛ حيث لا يؤاخذ المسيء بأكثر من جزاء سيئته، ولا ينتقص من ثواب الحسنة شيئاً، وإن كانت ضئيلة وقليلة، بل يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً(١).

وإنما كان ذلك كذلك لما في الحذف من زيادة تنبيه على أن الحسنة وإن كانت ضئيلة المقدار، حقيرة في الاعتبار فإن الله يربيها ويضاعفها(٢).

وجاء في جانب آخر منه للمبالغة في الحث والترغيب في فعل الحسنات وترك السيئات؛ لما في الحذف من دلالة على سرعة المضاعفة، وفرط سهولة الإيتاء وكمال يسره على الله – تعالى-؛ لتكون النفوس إلى الإذعان أحرص، وفي الامتثال أرغب.

ووجدناه في الموضع الحادي عشر الذي جاء في سياق وصايا لقمان لابنه، في مقام وعظه وتذكيره، ونصحه وإرشاده إلى فضائل الأعمال، ومعالي الأخلاق يمثل جانباً مهماً من جوانب هذا المقام؛ لأنه يعمق

---

(١) ينظر: أبو السعود ١٧٧/٢ .

(٢) ينظر: التعبير القرآني. د/ فاضل صالح السامرائي صـ٧٩ ـــ الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م دار عمار ــ عمان ــ الأردن.

– بدلالته على كمال يسر الإتيان بدقائق الأمور وصغارها على الله – تعالى – ونهاية سهولته، وسرعة إحضار خفيها ومستكنها ــ الإحساس بالمراقبة، وينمي شعور التقوى ويربيه في قلب الغلام، ويغرس في نفسه ووجدانه وازع الخوف والرهبة ويعظمه، وهذا فيه ما لا يخفى من زيادة تقرير المقام وتأكيده، والمبالغة في تحقيقه وتشديده؛ لدلالته على سعة علمه – سبحانه –وإحاطته بكافة المعلومات مهما بلغت من الدقة والخفاء؛ بقرينة إثبات النون في فعل الكون الثاني "فتكن" المعطوف على فعل الكون الأول، الواقع شرطاً.

وفي الحذف وجه آخر: هو الاحتراز عن الثقل الناشئ من تكرار فعل الكون المضارع في حيز كلامي ضيق؛ هو جملة فعل الشرط؛ لما يؤدي إليه التكرار مع الإثبات من تقييد في حركة الأسلوب، وبطء في إيقاعه، فجاء حذف النون من "تك" الواقع شرطاً، وإثباتها في "فتكن" المعطوف عليه، تحاشياً من ذلك، وتنويعاً في طريقة الأداء القرآني التي تعد عنصراً جوهرياً من عناصر الجذب والاستمالة، وإثارة التنبه، وتطرية النشاط؛ خشية السآمة والملل في مقام الوعظ والتذكير، والنصح والإرشاد، وبذلك تتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والله أعلم.

وأخيراً: فإن حذف النون من آخر فعل الكون المضارع من قوله سبحانه:ــ ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ [غافر: ٥٠]، وقوله سبحانه:ــ ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ ﴾[غافر: ٨٥] ، في الموضعين الثاني عشر والثالث عشر هو الذي يقتضيه في الآية الأولى مقام الضيق؛ بسبب الغضب؛ فإن الآية الكريمة جاءت في سياق رد الخزنة الموكلين بجهنم على طلب أهل النار منهم أن يدعوا الله لهم أن يخفف عنهم يوماً واحداً من العذاب، وذلك في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٩] ، بعد أن عرض القرآن للمحاجة التي دارت بين أهل النار بعضهم بعضاً في قوله:ــ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧] .

وحذف النون من آخر الفعل هو الذي يصور ــ إلى جانب الاستفهام في أول الجملة ــ مدى ضيق الخزنة بهذا الطلب، ويعكس شدة غضبهم، ونهاية سخطهم على أهل النار، فيقتطعون من الكلام اقتضاباً، وإعلاناً عن تبرمهم من سؤالهم، وسخطهم عليهم، وتعجيلاً بمساءتهم؛ بقطع آمالهم، وتخييب رجائهم في إجابة طلبهم إلا بما لا يريح قلوبهم، ولا يشفي غلة صدورهم، فيظلون حيارى تائهين، لا

يدرون ما يفعلون.

كما يصور الحذف في هذا الموضع ــ من وجه آخر ــ فرط الذل، وغاية الهوان الذي لحق بأهل النار؛ بسبب استكبارهم وتكذيبهم رسلهم الذين جاءوا بالبينات والهدى، وينبئ عن أنهم لا وزن لهم، ولا قيمة لطلبهم، ولا اعتناء بسؤالهم؛ وذلك حسبما تجري به العادة في مثل هذه المواقف؛ فإن من شأن المغضب أن لا يلتفت إلى من هو غاضب عليه، ولا يأبه له، ولا يلقي بالاً بكلامه؛ وذلك من احتقاره وهوانه عنده، فلا يكلمه إلا شذراً، ومن طرف، وهذا ما ينطق به حذف النون.

وهو الأوفق في الآية الثانية بمقام الوعظ والتذكير، والإنذار والتخويف بما يراه المشركون ويشاهدونه وهم يسيرون في الأرض، ويضربون في مناكبها من آثار الأمم المتقدمة الذين كانوا أكثر منهم وأشد قوة، لكنهم لما كفروا بالله، وجحدوا نعمته، وكذبوا رسله أخذهم الله، فما أغنت عنهم هذه الأسباب شيئاً، ولم ينفعهم ما أظهروه من الإيمان عند معاينة العذاب ونزوله، وهو الذي جاءت له الآية الكريمة في سياقها، ابتداءً من قوله ــ سبحانه :ــ "أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ..." الآيات، وانتهاءً بختام السورة الكريمة.

وإنما كان حذف النون من آخر الفعل هو الأوفق في هذا المقام؛ لأنه الأبلغ في حسم مادة طمع الكافرين في النجاة من العذاب، الأسرع في قطع رجائهم، الأقوى في إدخال الحسرة والندامة في قلوبهم، ولو ذكرت النون لفاتت كل هذه الدلالات؛ لأن سكونها جزماً يقيد من هذه الحركة السريعة ويحد من تتابعها.

وهو الذي ينطق ــ أيضاً ــ بعدم نفع ما أظهروه من الإيمان عند معاينة العذاب نوعاً من النفع، وينادي على أن أخذه إياهم كان على وجه القدرة والاقتدار من غير إمهال، وهذا فيه من المبالغة في الوعظ والتذكير، والإنذار والتخويف ما لا يخفى على متأمل.

"**المحور الثالث**"

"**حذف الألف من آخر حاشا**"

****

حذف الألف الأخيرة من كلمة "حاشا" جاء في موضعين اثنين من كتاب الله ــ تعالى ــ، وفي سورة يوسف خاصة؛ حيث جاء الأول منهما في سياق قوله ــ سبحانه:ـــ ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١]، وجاء الثاني منهما في قوله: ــ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾[يوسف: ٥١] ، وقد ذكر العلماء أن حذف الألف من آخر الكلمة في الموضعين جاء تخفيفاً؛ من كثرة دورانها على الألسنة، واتباعاً لخط المصحف الشريف(١).

لكن الذي يقتضيه التأمل، ومراجعة عوامل السياق والمقام أن الحذف هو الذي يقتضيه ــ في الموضع الأول ــ مقام إظهار النسوة شدة إعجابهن بجمال يوسف ــ عليه السلام ــ، وإكبارهن له، حتى خطفت ألسنتهن– من فرط حرصهن على إبداء ذلك – الكلمة خطفاً سريعاً على هذا النحو الذي يجسده حذف الألف الأخيرة من الكلمة، والفتحة على صوت الشين قبله، لما رأين يوسف ــ عليه السلام ــ حين أمرته امرأة العزيز بالخروج عليهن، وقد أعتدت لهن متكئاً، وآتت كل واحدة منهن سكيناً، وذلك لما سمعت بمكرهن، وبلغها حديثهن.

وهو الذي يقتضيه في الموضع الثاني مقام مسارعة النسوة إلى تنزيه يوسف ــ عليه السلام ــ وتبرئة ساحته مما نسب إليه من المراودة، حتى خطفت ألسنتهن الكلمة خطفاً سريعاً، وذلك على النحو الذي سبق تفصيله، ولو ذكرت الألف في آخر الكلمة، وما فيها من امتداد النفس بصوت مدها عند النطق بها لفات هذا المعنى المذكور.

ومن وجه آخر: فإن الحذف هو الذي يتطابق في الموضعين مع مقتضى حال النسوة في الدهشة، وفرط الذهول والاستغراب من شدة وقع المفاجأة على نفوسهن، وعظيم أثرها في قلوبهن، وذلك في الموضع الأول من رؤيتهن يوسف ــ عليه السلام ــ على هذا النحو من الحسن والجمال، حين خرج عليهن، فقد كان فضل يوسف ــ عليه السلام ــ على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٠١/٢ ـــ تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم ــ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ، كما ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٧/٣ تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ــ الطبعة الأولى ١٩٨٨م ـــ عالم الكتب ــ بيروت ، كما ينظر: تفسير الدر المصون للسمين الحلبي ٦/ ٤٨٥ ـــ ٤٨٦ ــ تحقيق/ د/ أحمد محمد الخراط ــ دار القلم ــ دمشق ـــ بدون تاريخ .

وفي الموضع الثاني من سؤال الملك إياهن عما نسب إليهن من المراودة: "ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه " ، فلم يعدن يستطعن ــ بسبب هذه الحال ــ التحكم في مداركهن، والسيطرة على مشاعرهن وانفعالاتهن، حتى بدا هذا واضحاً في أصوات نبراتهن التي يجسدها حذف الألف من آخر الكلمة على أكمل وجه وأتمه.

وتأكيد هذا في الموضع الأول من ظاهر الحال المدلول عليها من قرينة السياق؛ وذلك من خروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد، حتى قطعن أيديهن بالسكاكين، لما خرج عليهن يوسف ــ عليه السلام ــ في قوله ــ سبحانه :ــ "فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن"، وإنما عبر بالقطع؛ للدلالة على كثرة جروحهن، مع عدم التفاتهن إليها، وشعورهن بها؛ لفرط ذهولهن، وشدة إعجابهن وإكبارهن[١].

وفي الموضع الثاني من قرينة السياق ــ أيضاً ــ في قوله ــ سبحانه ــ في إثر جوابهن مباشرة:ــ "ما علمنا عليه من سوء" ؛ فإن فيه مبالغة وتأكيداً على براءتهن مما نسب إليهن من المراودة، وبراءته ــ أيضاً ــ مما نسب إليه من مراودتهن؛ فإن الحالتين من أحوال السوء؛ وذلك من خروج النفي في هذه الجملة مخرج الكناية؛ فإن نفي علمهن بذلك يستلزم نفي دعوتهن إياه إلى السوء، ونفي دعوته إياهن إليه؛ لأن ذلك لو وقع لكان معلوماً عندهن، ونفي الدعوة منه ومنهن يستلزم براءته وبراءتهن مما نسب إليه وإليهن من المراودة، ولا شك في أن إثبات المعنى على مدارج اللزوم أبلغ وآكد من إثباته بالطريق المباشر؛ لأنه أكثر إنهاضاً للفكر، وتنشيطاً للذهن، وحملاً للنفس على التفاعل مع الكلام[٢]، والله أعلم.

---

(١) ينظر: الكشاف ٤٦٥/٢ ، وأبو السعود ٢٧٢/٤ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٧٦/١٢ ـــــ ٧٧ ، كما ينظر: دلالات التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى صـــــ٢٤٠ ــ الطبعة الثانية ١٩٨٧م ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة.

"المحور الرابع"

"حذف ألف "ها" التي للتنبيه"

****

حذفت الألف ــ خطاً ونطقاً ــ من آخر "ها" التي للتنبيه على أن ما بعدها هو المقصود بالنداء، أو على أنها صلة لـــ"أي"؛ بسبب ما فاتها من الإضافة[1]، وذلك في ثلاثة مواضع من الكتاب العزيز، هي قوله ــ سبحانه:ــ ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] وقوله ــ سبحانه :ــ ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾[الزخرف: ٤٩] وقوله ــ تعالى :ــ ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[الرحمن: ٣١].

وحذف الألف وإن كان تخفيفاً من التقاء الساكنين في المواضع الثلاثة إلا أنه الأوفق في الآية الأولى بمقام تفخيم شأن التوبة، وتعظيم أمرها، وكذا تفخيم شأن الإيمان وتعظيم أهله؛ لما في الحذف من المبالغة في الحض على التوبة بقوة، والحث عليها على وجه السرعة، والترغيب في المبادرة إليها من غير توان أو تقصير؛ حسبما ينبئ عنه خطف اللسان حركة الهاء بعد الألف من دلالة السرعة، والقوة، والفخامة؛ فإن الجملة الكريمة موضع الشاهد جاءت في سياقها تعقيباً على بعض الأوامر والنواهي التي اشتملت عليها الآية الكريمة، ابتداء من قوله ــ سبحانه ــ "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن"، وانتهاء بقوله: "ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن"؛ ذلك أن أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يخلو نحوها من تقصير يقع فيه، ولا يقدر على مراعاتها، وإن بالغ في الاجتهاد وضبط النفس، لا سيما وأن المأمور به، أو المنهي عنه في سياق الآية الكريمة مما تدعو إليه الجبلة البشرية بحكم الاستحسان والشهوة، وهي مما يصعب التحرز منه، فيصدر ذلك من الإنسان عن غفلة، فأمروا بالتوبة عن التفريط[2] .

وقرينة هذا المعنى وبرهانه من حذف حرف النداء نفسه؛ إذ الأصل: يا أيها المؤمنون؛ تعجيلاً بالمطلوب، وحثاً على الاستجابة وفرط الإذعان على وجه السرعة، وقرعاً للأسماع بشدة، وتنبيهاً لها من الغفلة بحكم الجبلة البشرية بقوة.

ومن نسق الكلام وسياقه الذي خرج مخرج الحذف من حول الجملة الكريمة ــ

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي صـــ٣٤٧ ـــ تحقيق : د/ فخر الدين قباوة. أ/ محمد نديم فاضل ــ الطبعة الأولى ١٩٩٢م ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصري ٣٤٩/٢ ــ تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: الكشاف ٢٣٣/٣ ، وأبو السعود ١٧١/٦ ، والتحرير والتنوير ١٧١/١٨.

أيضاً ـــ؛ حيث حذف مفعول الفعل" ولا يضربن" أي: الأرض، كما حذف مفعول الفعل "يخفين" في قوله: " ليعلم ما يخفين من زينتهن" ؛ إذ الأصل "يخفينه"، وذلك طرداً للنسق على وتيرة واحدة، وتحقيقاً للتوافق والانسجام في دلالات الخصوصيات.

وثمت ما يقتضي الحذف ـ أيضاً ـ وهو تكرير الخطاب في الجزئية موضع البحث؛ فإن المخاطب في قوله: " أيه المؤمنون" هو عين المخاطب في قوله: "وتوبوا إلى الله جميعاً" ، وتكرار الخطاب في موضع واحد قد يحصل به نوع ثقل يقيد من حركة الأسلوب ووقعه، وتخفت به دلالته على المعنى المراد ووفاؤه به، فكان أن حذف حرف النداء ـ أولاً ـ ثم ألف "ها" المتصلة بـ"أي" ـ ثانياً ـ احترازاً عن اجتماع ثقلين وتلاقيهما في موضع واحد، والله أعلم.

أما الحذف من الموضع الثاني:ـ ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ فقد اقتضاه مقام الضيق بسبب حال الجهد والإعياء التي تمكنت من فرعون وقومه من الرجز الذي نزل بهم؛ بسبب تكذيبهم موسى ـ عليه السلام ـ ؛ وذلك في سياق قصته ـ عليه السلام ـ من سورة الزخرف؛ إذ يصور هذا الحذف شدة الإعياء والجهد، ويجسد نهاية الضعف والتعب، ويعكس غاية الألم، حتى إنهم من فرط ما بلغ بهم من ذلك لم يعد عندهم من القدرة على إتمام الكلام حتى نهايته، فلجأوا إلى الإيجاز واقتضاب العبارة في محاولة منهم لتخفيف المعاناة، ودفع الألم.

وقرينة هذا أن النسق الكريم قد خرج في مبناه مخرج الحذف إيجازاً وتخفيفاً؛ إذ أصل الكلام كما قدره المفسرون:ـ ادع لنا ربك بما عهد عندك من النبوة، أو من استجابة دعائك، أو من كشف العذاب عمن اهتدى، أو بما عهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة لئن كشفت عنا العذاب إننا لمهتدون(١) .

ووراء الحذف مقصد آخر: هو التشهير بموسى ـ عليه السلام ـ والتشنيع عليه، والنداء على اشتهار أمره في السحر، وأنه صار علماً فيه، ولا يتطلب الأمر في نسبته إليه، وإلصاقه به مزيد تنبيه عليه، وزيادة لفت إليه من خلال إثبات الألف المتصلة بـ"ها" التنبيه، وإطلاق النفس بصوت مدها، وذلك إذا كان المقصود من الجملة هو استصحابهم له ما كانوا يدعونه به، وينسبونه إليه؛ استهزاءً به، وانتقاصاً من شأنه(٢).

ويجوز أن يكون داعي الحذف ـ حسبما ذهبوا إليه ـ هو المسارعة إلى تفخيمه وتعظيمه، والإعلاء من شأنه وقدره، وذلك إذا كان الخطاب خطاب تعظيم؛

---

(١) ينظر: أبو السعود ٤٩/٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٢٥٧/٤، والبحر المحيط ٢١/٨ .

باعتبار أن السحر كان علم زمانهم، وكانوا يقولون للعالم الماهر: ساحر؛ لاستعظامهم أمر السحر وعلمه(١).

وأما الحذف من الموضع الثالث:ــ ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[الرحمن: ٣١] فهو في مقام الإنذار والتخويف أقوى وأبلغ، وفي سياق التهديد والوعيد أشد وأمكن، فإن المعنى: سنتجرد لحسابكم وجزائكم أيها الثقلان ــ الإنس والجن ــ؛ وذلك يوم القيامة عند انتهاء شئون الخلق المشار إليها بقوله-تعالى:-" كل يوم هو في شأن" فلا يبقى ــ حينئذ ــ إلا شأن واحد هو الجزاء، فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل، وقيل: هو مستعار من قول المهدد لصاحبه: سأفرغ لك، والمراد: التوفر على النكاية فيه، والانتقام منه(٢).

وإنما كان الحذف هو الأوفق في هذا المقام؛ لما فيه من دلالة على أن المهدِّد لا يأبه بالمهدَّد، ولا يلتفت إليه، ولا يعتد به، ولا يقيم له وزناً ولا اعتباراً؛ لضعفه وهوانه، وانحطاط قدره، بخلاف ما لو ذكرت الألف من "ها"؛ فإن امتداد النفس بصوت الألف قد يشعر بمعاني التفخيم والتعظيم، وهذا غير مراد.

ولما فيه من إيحاء بالقوة والسرعة؛ وذلك من خطف الجهاز الصوتي الكلمة عند النطق بها خطفاً سريعاً، وهذا يجعل المهدَّد في حالة من القلق الدائم، والتفكير الدائب في نوعية العقاب المهدَّد به، فينزجر ويرتدع عما هو سادر فيه من غي ومن ضلال.

وفي الحذف ــ أيضاً ــ احتراز عما قد يحدثه التأكيد؛ بتكرير الخطاب من نوع ثقل؛ فإن المخاطب بقوله: "لكم" هو عين المخاطب بالنداء في قوله:ــ "أيه الثقلان" ، وذلك على الوجه الذي فصله البحث في الموضع السابق، وكذا تجنباً للجمع بين ثقلين في موضع واحد؛ بين ما تصوره كلمة "الثقلان" من ثقل الثقلين على الأرض، وثقل النسق؛ بذكر ما لا يستدعي المقام ذكره، والله أعلم.

---

(١) ينظر: الكشاف ٢٥٧/٤ ، والبحر المحيط ٢١/٨ ، وتفسير أبي السعود ٤٩/٨ .

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ١٨١/٨.

"المحور الخامس"

"حذف وسط الكلمة"

****

من المعلوم الذي لا شك فيه أن الوسط يتسم بالقوة والمنعة؛ وذلك نظراً لاكتناف الأطراف إياه من بين يديه ومن خلفه، ومن ثم كان في مأمن من تأثير العوامل فيه، ولم يكن عرضة لما يعتري الأطراف من أحداث وتغيرات، ولعل هذا هو السبب الذي يرجع إليه ندرة الحذف من وسط الكلمة في القرآن، كما كان الشأن في الأطراف، وذلك حسبما تقرر عند علماء العربية وأكدوا عليه.

وقد جاء حذف حرف المبنى من وسط الكلمة في كتاب الله على صورتين اثنتين لا ثالث لهما، فالمحذوف من وسط الكلمة إما تاء الافتعال، وإما اللام الأولى من الفعل "ظل"، وذلك على تفصيل يأتي في كل منهما بعون الله تعالى.

"الصورة الأولى"

" حذف تاء الافتعال"

****

حذفت تاء الافتعال من وسط الكلمة في ثلاثة مواضع من كتاب الله ــ تعالى ــ، هي قوله ــ سبحانه:ــ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٨٢] ، وقوله ــ تعالى :ــ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[الكهف: ٩٧]، وكذا قوله –سبحانه:– ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣].

فالموضع الأول: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ جاء في ختام قصة موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ من سورة الكهف؛ تعقيباً على الأحداث والمواقف، وتأويلها.

وقد ذكر العلماء أن العلة من حذف التاء من وسط الفعل "تسطع" في ختام الآية الكريمة هي التخفيف؛ لقرب مخرج التاء من الطاء، أو للمخالفة بينه وبين قوله قبل تأويل الأحداث التي وقعت على يدي الخضر وتفسيرها: "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً" [الكهف: ٧٨] ؛ للتفنن في العبارة؛ تجنباً إعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه، وإنما ابتدئ بأشهرها وأكثرها استعمالاً، وهو المثبت التاء، وجيء بالفعل المخفف ثانياً، وهو المحذوف التاء؛ لأن التخفيف أولى به، إذ قد يحصل من تكرير الفعل المثبت التاء ثانية نوع ثقل(١).

وهذا التوجيه الذي ذكره العلماء ــ مع وجاهته ــ مما لا ينبغي أن يقنع به الباحث

---

(١) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني محمود بن حمزة صـــ١٧١ ـــ تحقيق/ عبد القادر أحمد عطا ــ دار الفضيلة ــ القاهرة ١٩٧٧م، كما ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ١٥٦/٦ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٢٠/ ١٥

في البلاغة، وأن ينام ملء جفونه عليه؛ لأنه لا يعدو أن يكون توجيهاً صرفياً، أو لا يتجاوز الناحية الشكلية إلى قرائن السياق وعناصره، ومقتضيات المقام ومتطلباته، وفي الأسلوب القرآني خاصة، والذي جاء موزوناً بميزان دقيق في حركاته وسكناته، وأحرف كلماته، فضلاً عن ألفاظه وتراكيبه.

إن حذف التاء من الفعل "تسطع" في ختام الآية الكريمة هو الذي ينبئ عن أن النسق القرآني في سورة الكهف قد بلغ في تفصيل قصة موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ وتأويل أحداثها الغاية، وأشرف على النهاية التي ليس وراءها مطلب لمستزيد، وأن تجاوزها بذكر ما لا يستدعي السياق ذكره ــ ولو كان حرفاً واحداً من بنية الكلمة ــ يعد خللاً في الصياغة، وتطويلاً فاحشاً، لا تتحقق من ورائه أدنى فائدة، وهذا ما يجل عنه النظم الكريم.

وهو الذي يتطابق مع مقتضى حال المتكلم، وهو الخضر ــ عليه السلام ــ ويتناغم مع مقام العالم المعلم، الحريص ــ من وجه ــ على التخفف وإلقاء هذا الحمل الثقيل عن كاهله، والحريص ــ من وجه آخر ــ على إبراد نفس صاحبه، وري ظمئها، وإطفاء لهيب غضبها وتعطشها إلى تمام المعرفة والعلم بتأويل الأحداث السابقة من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار في سياق القصة الكريمة؛ إذ يعمق الحذف شعور الخضر ــ عليه السلام ــ بالرضا، ويصور إحساسه بالارتياح، ويجسد فرط لهفته وعجلته إلى مفارقة موسى ــ عليه السلام ــ؛ فقد بلغ ــ من خلال تفسير هذه الأحداث، وكشف النقاب عن سرها والحكمة من وراء فعلها ــ الغاية في هدهدة مشاعر القلق والتوتر التي انتابت موسى ــ عليه السلام ــ قبل ذلك تجاه هذه الأحداث الغريبة التي حصلت على يد الخضر ــ عليه السلام ــ وأربى على النهاية في تحقيق مراده من إفراغ شحنات الانفعال الموار التي تزاحمت في صدر موسى ــ عليه السلام ــ واستلال سخيمة الغضب الكظيم من فؤاده؛ لما في الحذف من دلالة على فرط السرعة، وتعجل القصد، والله أعلم.

ومن وجه ثالث:ــ فإن حذف التاء من المضارع المجزوم هو الذي يتطابق ــ أيضاً ــ مع مقتضى حال موسى ــ عليه السلام ــ، ومع مقام طلب العلم الذي سعى فيه، وقطع المسافات البعيدة للقاء العبد الصالح من أجل تحصيله، والتعلم منه؛ إذ يعكس الحذف اللهفة العارمة، ويصور الرغبة المدمدمة التي كان عليها الكليم قبل تأويل الأحداث، ويبرز ما كان يتملكه من شدة الحرص، وفرط الشوق إلى تأويل ما استنكره من وقائع وأمور غريبة حصلت على يد الخضر ــ عليه السلام ــ، ابتداءً من خرق السفينة، ومروراً بقتل الغلام، وانتهاءً بإقامة الجدار، وذلك على النحو الذي أفاض في تفسيره النظم الكريم.

وتأكيد هذا الوجه من قرينة الحال؛ فقد روي أن الخضر ــ عليه السلام ــ لما عزم على مفارقة موسى ــ عليه السلام ــ أخذ موسى بثيابه، وقال له: لا أفارقك حتى تخبرني: بم أباح لك فعل ما فعلت؟ فلما التمس الخضر ذلك منه، وآنس فيه شدة الطلب أخذ في التفسير والتأويل(١).

ومن قرينة السياق؛ وذلك من تعقيب موسى ــ عليه السلام ــ في إثر كل واقعة بما يكشف عن بالغ استنكاره، وشدة غضبه:ــ "أخرقتها لتغرق أهلها..." ــ "أقتلت نفساً زكية بغير نفس ..." ــ "لو شئت لاتخذت عليه أجراً".

ومن إنصاته ــ عليه السلام ــ إلى تأويل الخضر الأحداث وتفسيرها، دون أن يكون له عليه أدنى اعتراض أو مقاطعة.

أليس ذكر التاء ــ لو ذكرت ــ مما تفوت به كل هذه الدلالات، وما ذاك إلا لخروج الكلام ــ حينئذ ــ مخرج الأصل في الصياغة، ومن المعلوم المقرر لدى علماء البلاغة أن الكلام لا يبنى على خلاف الأصل إلا لتحقيق غرض، واستدعاء معنى، وتلبية حاجة موقف اقتضى هذا التحول.

والموضع الثاني الذي حذفت منه تاء الافتعال، وهو قوله_ سبحانه:- ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ جاء في سياق قصة ذي القرنين من سورة الكهف ــ أيضاً ــ؛ لتصوير عدم تمكن يأجوج ومأجوج من تجاوز السد الذي بناه عليهم ذو القرنين، وتبرز عدم قدرتهم على تخطيه في جميع الأحوال، وفي كل المحاولات.

وقد حذفت التاء من وسط الفعل "اسطاعوا" ماضي الصيغة في الجملة الأولى من الآية الكريمة، وأثبتت في الفعل ذاته في الجملة الثانية من الآية نفسها.

وقد وجه علماء المتشابه الحذف من الفعل الأول، والإثبات في الفعل الثاني بأن الحذف ــ أولاً ــ هو الذي يصور يسر الصعود على ظهر السد وتسلقه، وسهولة الارتفاع عليه، وأن الإثبات ــ ثانياً ــ هو الذي يصور شدة النقب ــ الخرق ــ وصعوبته، ويبرز ثقله وكلفته، فجيء بالفعل مخففاً مع الحدث الأخف، وهو حال الظهور والصعود، وجيء به تاماً مستوفى بذكر المحذوف مع الحدث الأثقل، والعمل الأشق، وهو حال النقب والخرق، فتناسب كل مع ما هو له من المعنى، ولو قدر الأمر بالعكس لما تناسب(٢).

وذكروا وجهاً آخر: وهو أن التاء إنما

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١٥٣/٦

(٢) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني صـــ١٧١ ، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي ٧٩١/٢ ـــ تحقيق/ سعيد الفلاح ــ الطبعة الأولى ١٩٨٣م ــ دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت.

حذفت من الأول، وأثبتت في الثاني؛ لأن الثاني في محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد، وتمكنهم منه في جميع الأحوال، ولما كان التأكيد معنى زائداً على الأصل ناسبه الإثبات؛ لتحقيق هذا الغرض(١).

وفيما وجه به العلماء الحذف والإثبات نظر؛ فإن كون الظهور على السد، والصعود فوقه أخف وأهون من النقب والخرق أمر لا دليل عليه، وإلا كان فيه مندوحة لهم عن المقابل وهو النقب والخرق، كما أن دلالة الخرق والنقب غير دلالة الظهور والصعود، فلا مجال ــ إذاً ــ للقول بأن الثاني تأكيد للأول، وإنما الذي تميل إليه النفس وتؤيده القرائن أنه لا ارتباط للحذف والإثبات بالخفة والثقل من هذا الوجه الذي ذكروه، وإنما حذفت التاء من الفعل ــ أولاً ــ؛ للدلالة على أنهم لم يرهقوا أنفسهم كثيراً عناء الصعود على السد الذي بناه ذو القرنين، ولم يكرروا محاولة ركوب متنه مرة بعد مرة؛ لعدم قدرتهم من الارتفاع عليه أصلاً، وظهور ضعفهم، وغلبة يأسهم، وانقطاع طمعهم في ذلك(٢)؛ إما من شدة ملاسة السد فلا يثبتون عليه، أو من عظم ارتفاعه، أو لأنه بني على هيئة لا تمكنهم من ذلك، أو لعدم امتلاكهم الأسباب والوسائل التي تعينهم على الصعود، وإما لأن الله قد أخذ عقولهم، وصرف أنظارهم عن التعلق به، والتفكير فيه، وإما لكل هذه الأسباب جميعاً.

وأما إثبات التاء في الفعل ــ ثانياً ــ مع النقب والخرق فللدلالة على تكرارهم المحاولة مرة بعد مرة، وتصوير أن هذا دأبهم الذي لا ينفكون عنه حالاً بعد حال؛ لامتلاكهم الوسائل والأدوات التي تعينهم على ذلك، وإنما وضع الماضي موضع المضارع؛ للدلالة على استعصائه عليهم، رغم تكرر المحاولة.

وبرهان هذا التوجه في التحليل من قرينة الحال؛ فقد جاء في الحديث أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل غداة، حتى إذا أوشكوا على نقبه، قال أميرهم الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعود كما كان، فإذا جاء وعد الله قال: ارجعوا فسنحفره غداً إن شاء الله، ويستثني، فيعودون فيجدونه كما تركوه، فيحفرون ويخرجون(٣).

ومن قرينة السياق؛ وذلك ــ أولاً ــ من دخول "أن" المصدرية على الفعل المضارع: "يظهروه" التي تنبئ عن شدة ترددهم في محاولة الظهور على السد،

---

(١) ينظر: ملاك التأويل للغرناطي ٧٩١/٢.

(٢) ينظر: تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٨٣/١٢ ـــــ دار الكتاب الإسلامي ـــــ القاهرة ـــــ بدون تاريخ.

(٣) سنن ابن ماجه ١٣٦٤/٢ رقم (٤٠٨٠)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

وتعكس مدى استثقالهم الصعود عليه، وتأكيد هذا أن النسق الكريم آثر المصدر الصريح من النقب في نفي استطاعتهم إياه دون المؤول، كما كان الأمر مع حال الظهور والصعود.

ومن قوله ــ تعالى ــ بعده ــ ثانياً:ــ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨] فإنه يؤكد أن ذا القرنين بنى السد على هيئة تجتمع فيها كل الأسباب المذكورة سلفاً على عدم إمكانهم من الظهور والصعود عليه أبداً، والله أعلم.

وأما الموضع الثالث، وهو قوله ــ سبحانه :ــ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ فقد ذكر المفسرون أن فعل الأمر "انظرونا" في الآية الكريمة مأخوذ من "نظره"، إذا انتظره، ومعناه: انتظرونا، حذفت منه التاء بقرينة أن الفعل عدي إلى المفعول بنفسه(١).

وحذف التاء من الفعل على هذا النحو السابق ــ حسبما وجهه المفسرون ــ هو الذي يتطابق مع مقتضى حال المنافقين في مقام ضيقهم؛ بسبب الخوف الشديد الذي يخلع قلوبهم مما يعاينونه في القيامة من أهوال وشدائد، جاء النسق الكريم في تقريرها وتأكيدها؛ إنذاراً وتخويفاً؛ فإن الحذف هو الذي يصور اللهفة العارمة، ويجسد الحرص الشديد الذي يعتمل في نفوس المنافقين والمنافقات في هذا الموقف الرهيب الرعيب من فوات الفرصة، وضياع الأمل في النجاة، وخيبة المسعى، وقد لفهم الظلام من كل جانب، فينادون المؤمنين على وجه السرعة المفرطة التي يجسدها الحذف:ــ "انظرونا نقتبس من نوركم"، ولو ذكرت التاء لفات هذا المعنى؛ لأن ذكرها يؤدي إلى تباطؤ الإيقاع، وتقييد حركته نوعاً ما، وهذا ما لا يقتضيه المقام، ولا يتطابق مع مقتضى الحال.

وبرهان هذا التوجه في التحليل من سياق الكلام نفسه؛ فقد جاء جواب الطلب المحذوف التاء من وسطه، وهو جملة "نقتبس" مقترناً به، وذكر في إثره مباشرة، ومن دون فاصل ما قد ينبئ عن نوع مهلة أو تراخ؛ تأكيداً على هذا الحرص، وتصويراً لهذه اللهفة العارمة، وتجسيداً للخوف والرعب الرهيب الذي ملأ قلوب المنافقين والمنافقات من زوال الفرصة، وفوات الأوان.

وكذلك من تجاوز النسق القرآني وإهماله كثيراً من الكلام الذي يمكن أن يقال في أمثال هذه المواقف، كأن يقولوا:ــ انتظرونا نلحق بكم، ونقتبس من نوركم، ونمشي في ركابكم، ونحو هذا مما لا يعكس هذه الحال المتلهفة التي عليها المنافقون، ولا يكشف عنها.

أرأيت كيف كشف القرآن عن دواخل

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/٤٧٥، والدر المصون للسمين الحلبي ١٠/٢٤٣ــ ٢٤٤ ، وأبو السعود٨/٢٠٧، والتحرير والتنوير ٢٧/٣٤٤.

النفوس، ونوازع الوجدان وهمساته في هذا الموقف الرهيب من خلال اقتطاع حرف واحد من بنية الكلمة؟ ألم يتأكد ما سبق أن ذكرت من أن كل حرف من حروف القرآن قد وزن بميزان دقيق، وجاء على النهج القويم في موضعه الذي وضع فيه؟ ولو جاء على خلاف ذلك لاختل النسق، وفسد المعنى، وضاع الحسن، وذهبت البلاغة.

"الصورة الثانية"

"حذف اللام الأولى من الفعل ظل"

****

وقد جاء هذا النوع من حذف وسط الكلمة في موضعين اثنين، هما قول الله ــ تعالى:ــ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾[طه: ٩٧]، وقوله ــ تعالى:ــ ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[الواقعة: ٦٥]، حيث حذفت منه عين الكلمة، وهي اللام الأولى من الفعل المذكور؛ إذ الأصل "ظللت" و"ظللتم"، وهذا الحذف نادر عند سيبويه، قياس عند غيره، وقد اقتضاه التخفيف من توالي اللامين(١).

وتوجيه الحذف من الكلمة على اعتبار التخفيف من توالي اللامين مراعىً فيه جانب اللفظ والشكل، دون أن يمس جوهر المعنى، ويستنطق خوافيه، ويسبر أغواره على أساس من قرائن السياق، ومقتضيات الأحوال، والذي يظهر لي بعد تأمل أن حذف اللام الأولى من الفعل المذكور؛ تخفيفاً من توالي الأمثال هو الذي يتطابق ــ من وجه ــ في الآية الأولى مع مقتضى حال موسى ــ عليه السلام ــ في الضيق؛ بسبب الهم والحزن، والانفعال والغضب؛

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ٤٨٤/٤ ، كما ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٢٧٦/٦ ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧٦/١٦

فإن الآية الكريمة جاءت في سياق قصة السامري الذي صنع لبني إسرائيل من حلي المصريين وزينتهم عجلاً، وفتنهم به، وأغواهم بالعكوف على عبادته، وذلك على النحو الذي قصته ــ تفصيلاً ــ سورة طه؛ لتميط اللثام عن طبيعة موقف نبي الله موسى ــ عليه السلام ــ من هذا الرجل، بعد أن رجع من ميقات ربه، ووجد قومه يعكفون على عبادة العجل الذي صنعه لهم السامري، وهو موقف يتسم بالضيق والحزن، والانفعال والغضب، وشدة القلق والضجر.

وحذف اللام الأولى من الفعل هو الذي يعكس ــ بإيقاعه السريع من فرط خطف اللسان الكلمة عند النطق بها ــ حركة تردد الزفير في صدره ــ عليه السلام ــ صعوداً وهبوطاً من شدة الانفعال والغضب الذي تموج به نفسه الضائقة المحزونة مما اقترفه السامري من صناعة العجل، وفتنة بني إسرائيل بعبادته، وما أكثر ما تجنح النفس الإنسانية إلى الإيجاز واقتضاب العبارة في مثل هذه المواقف المشحونة؛ في محاولة منها لهدهدة القلق والتوتر، وتخفيف حدة الانفعال وثورة الغضب.

وقرينة هذا من سياق الكلام من بين يدي الجملة ومن خلفها؛ فإنه مشحون بالانفعال والغضب الذي بلغ ذروته عند قوله ــ سبحانه:ــ "لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً" الذي يعكس نهاية الغيظ والحنق.

فإذا لم يكن المقام مقام ضيق وحزن، بل كان مقام امتنان وتفضل، وكانت الحال حال سعة ورغد كان ذكر اللام هو المطابق لهذه الأحوال، المتناغم مع طبيعة هذه المواقف والمقامات، وذلك كما في قوله- تعالى:-﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[البقرة:٥٧] وقوله:ــ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[الأعراف:١٦٠] .

كما يتطابق الحذف ــ من وجه آخر ــ مع مقتضى حال السامري في العبادة والتبتل؛ إذ يصور شدة محبته العجل، وينبئ عن لزوم عبادته إياه، وعكوفه عليه دون ملل أو فتور، ودون تبرم أو ضجر، حتى صار ذلــك ــ من إشراب قلبه محبته ــ ديدناً له وسجية لا ينفك عنها؛ لما يترتب على الحذف من سهولة الكلمة على اللسان، ويسر النطق بها في المخارج.

ولو ذكرت اللام في هذا المقام لأوحت بنقصان محبة السامري العجل، وعدم قناعته بعبادته؛ لدلالة الذكر ــ بما يترتب عليه من ثقل الكلمة في المخارج نوعاً من الثقل؛ لما يبذله الجهاز الصوتي من جهد عند النطق بمثلين متواليين ــ على فرط مجاهدته النفس على العبادة، وإلزامها بها على غير رغبة؛ لثقلها على النفس، وكراهتها إياها، وهذا ما لا يتناغم مع مقتضى حاله التي كشف عنها القرآن في سياق آخر، وذلك قوله- سبحانه:- ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ

ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[البقرة: ٩٣]، ومن ثم استحق العقاب الذي نزل بساحته، وكان جديراً بالبلاء الذي حل به.

وثمت ما يقتضي الحذف غير ما سبق، وهو أن الآية الكريمة قد خرجت في نظمها مخرج الحذف؛ ابتداءً من حذف متعلق فعل الأمر "فاذهب" دون تعيين وجهة الذهاب أو تحديدها، ومروراً بحذف صفة "الحياة" ونعتها، وانتهاءً بحذف خبر "لا" النافية للجنس في قوله:ــ "لا مساس" فإن هذا كله يؤكد أن السياق مشحون بمشاعر التوتر والقلق، والغيظ والحنق، والانفعال والغضب من فعلة السامري الشنعاء، ومن جريمته النكراء، والله أعلم.

وأما الحذف من الموضع الثاني، وهو قول الله ــ سبحانه :ــ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[الواقعة: ٦٥] فهو نظير الحذف من الموضع الأول؛ حذفت منه عين الفعل "ظل"، وهي اللام الأولى؛ تخفيفاً من توالي اللامات.

وقد نادى على هذا الحذف مقام الإنذار والتخويف، والوعظ والتذكير الذي جاءت في سياقه الآية الكريمة، وكذا ما تضمنته الآية الكريمة موضع البحث من تهديد ووعيد، وتحسير وتنديم بإهلاك الحرث والزرع؛ لما في الحذف من المبالغة في تقرير هذه المعاني وتوكيدها؛ لدلالته على سرعة تحقق المهدد به، وحصوله دفعة واحدة، وندائه على فرط سهولته، وكمال يسره على الله ــ تعالى ــ لو تعلقت به المشيئة الإلهية؛ فإن ما يترتب على الحذف من سهولة الكلمة في المخارج، وخفتها في النطق هو الذي يصور هذه المعاني ويجسدها على وجه التمام والكمال.

وقرينة هذا من عطف الجملة موضع البحث :ــ "فظلتم" على جواب الشرط "لو" بالفاء التي تدل على السرعة، وكذا من حذف اللام في جواب "لو" وهو قوله:ــ "جعلناه" للإيماء بذلك إلى أن يسر المهدَّد به وفرط سهولته على الله ــ تعالى ــ، لو تعلقت مشيئته بحصوله قد صار أمراً ظاهراً معلوماً، لا يتطلب في تزجيته وإثباته إلى مزيد تقرير وتوكيد.

وإنما كان حذف اللام من الفعل هو الأبلغ في هذا المقام دون الذكر؛ لأن حصول المهدَّد به على هذا النحو المفاجئ الذي يتوارى من وراء دلالة الحذف على السرعة والسهولة أخزى وأنكى، وأشد وأصعب على النفس من الحصول على خلافه، والذي قد ينبئ عنه ذكر اللام؛ لأنه لا يترك لهم فرصة الإمهال لتدارك الأمر، ولا التفكير والمراجعة لتصحيح المواقف.

"**المحور السادس**"

"**حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع**"

****

يعد حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع أكثر صور الحذف من بنية الكلمة دورانًا في القرآن الكريم؛ فقد جاوزت مواضعه فيه أكثر من خمسة وثلاثين موضعًا .

وقد اختلف العلماء في أي التاءين هو المحذوف؛ فبعضهم يرى أن التاء الأولى هي المحذوفة، وبعضهم يرى أن المحذوف هي التاء الثانية، وفريق ثالث ترك الأمر مبهمًا، ومن دون تعيين، معولًا على إرادة المتكلم وقصده في تعيينه(١) .

وقد علل العلماء لهذا النوع من الحذف بأنه للتخفيف من توالي الأمثال؛ بسبب كثرة الاستعمال؛ ولذلك يقول ابن جني:- " يكره اجتماع المثلين زائدين؛ فيحذف الثاني منهما؛ طلبًا للخفة بذلك"(٢).

والأولى أن يحتكم في بيان نكتة الحذف وسره إلى النظر في عوامل السياق وقرائن الأحوال، والدليل على هذا أن القرآن جاء بالحذف والإثبات، وإن كان الحذف هو الأكثر دورانًا واستعمالًا.

وقد تنوعت صيغة المضارع التي حذفت من أولها إحدى التاءين مادة وجذرًا لغويًا، حيث حذفت إحدى التاءين من أول المضارع من مادة : "التذكر- التنزل- التظاهر- التفرق- التمني- التصدق- التولي- التربص- التكلم- التبرح- التبدل- التفكه- التزكي- التصدي- التلهي- التحاض- والتوفي" وذلك على اختلاف في الأخيرة منها(٣) .

لكن أكثرها دورانًا واستعمالًا في كتاب الله -تعالى- هو الفعل المضارع من التذكر، حيث بلغت مواضعه وحده في القرآن سبعة عشر موضعًا(٤)، يليه في ذلك الفعل المضارع من مادة التنزل، ثم تتقارب الصيغ الأخرى بعد ذلك فيما بينها قلة وكثرة؛ حيث يرد معظمها مرة واحدة، وقد يرد بعضها مرتين على الأكثر .

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ٤٨٣/٤، والمحتسب لابن جني ١١١/٢ .

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ١١١/٢ .

(٣) حيث ذهب بعض العلماء إلى أن الفعل "توفاهم" في قوله- تعالى-﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ [النساء ٩٧] ماضي الصيغة؛ ودليل هذا قراءة من قرأ :-"توفتهم"، وذهب بعضهم إلى أنه مضارع، أي : تتوفاهم؛ بقرينة قراءة من قرأ :-"توفاهم" على أنه مضارع : "وفيت"، بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها، أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها. ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٣٧٢ ، والكشاف للزمخشري ٥٥٥/١ .

(٤) ينظر: التطور اللغوي والتاريخي للغة العربية . د/ إبراهيم السامرائي صـــ٤٥ .

أما الفعل :" تذكرون" من مادة "التذكر"، وأصله :-"تتذكرون" حذفت منه إحدى التاءين فإن الحذف منه يدور في جل مواضعه حول إفادة معنى القلة والندرة، أو انعدام التذكر مطلقًا، مع توفر أسبابه، وتعدد وسائله وتنوعها، ووضوح الدلائل وظهورها، وذلك-على الأكثر- في مقامات الذم والتوبيخ .

وإن شئت دليلًا على ذلك فتأمل معي قول الله – تعالى-﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣]، وقوله -تعالى-﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] ، فإن حذف التاء من الفعل في الموضعين لتأكيد نفي التذكر مطلقًا، وتقرير انعدامه بالكلية، مع وضوح الدلائل، وظهور البراهين، وتوفر الأسباب، والمعنى في الأول: لو تذكرتم لاتبعتم ما أنزل إليكم من ربكم، ولما احتجتم إلى النهي عن أن تتبعوا من دونه أولياء[1]، والمعنى في الثاني: لو تذكرتم لأفردتموه بالألوهية، وأقررتم له بالربوبية .

وقرينة هذا من تقديم المعمول: "قليلًا" على عامله المذكور، وكونه من مادة القلة خاصة، والتي استعملت في النفي والعدم على طريقة التهكم بالمضيع الأمر النافع، ومن زيادة "ما" قبل العامل؛ لتأكيد النفي والعدم، وذلك على حد قوله:- "فقليلًا ما يؤمنون" [البقرة : ٨٨] فإن الإيمان لا يوصف بالقلة أو الكثرة، ومن وقوع الجملة موضع البحث في موقع الاعتراض التذييلي المسوق لتقبيح حال المخاطبين وتوبيخهم[2].

وكذا من قرينة إتباع الحكم بنفي التذكر وانعدامه مطلقًا بالتهديد والوعيد- في الآية الأولى- بذكر ما حل بالقرى السابقة- على كثرتها، كما تنبئ عنه "كم" التكثيرية – من دمار وهلاك- ، ومجيئهم بأس الله في قوله- سبحانه:-﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾ [الأعراف :٤] .

وبالاستفهام الإنكاري الذي اكتنف الشاهد الثاني من بين يديه ومن خلفه؛ إذا لو تذاكروا نوعًا ما من التذكر لما كان لهذا التهديد والوعيد، أو الإنكار والتوبيخ موقعًا، ولو ذكرت التاء لأوهمت أن المنفي هو وقوع التذكر على وجه التتابع والاستمرار، دون حصول الفعل من أصله، والله أعلم.

واقرأ إن شئت-أيضًا- قول الله- سبحانه-﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ

(١) ينظر: أبو السعود ٢١١/٣، والتحرير والتنوير ١٤/٨ .

(٢) ينظر: أبو السعود ٢١١/٣ ، والتحرير والتنوير ١٥/٨ .

فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس :٣]، في مطلع سورة يونس، بعد سوق الدلائل والبراهين الدامغة، والحجج الساطعة على قدرة الله-تعالى- ووحدانيته من وجه، أو على ظهور بطلان تعجبهم المذكور في الآية السابقة، وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الإشارة إليه بالإنكار والتعجيب في قوله: ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾[يونس :٢] من وجه آخر، فإن حذف إحدى التاءين من أول الفعل المذكور لتأكيد نفي التذكر وانعدامه بالكلية، والدلالة على أن متعلق التذكر مما لا يحتاج إلى طول نظر، وإعمال فكر.

وقرينة هذا المعنى من الاستفهام الإنكاري في مستهل الجملة، الذي يئول معناه إلى النفي، كأنه قيل: لا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما أنتم عليه، فترتدعوا عنه، فإن أدنى التذكر وأقل النظر ينبهكم عليه(١).

وشبيه بالجملة السابقة في طريقة بنائها قوله-تعالى:-﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[هود :٢٤]، وقوله من السورة نفسها ﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[هود :٣٠] ، وقوله من النحل﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل:١٧] ، وكذا قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[المؤمنون: ٨٥]، وقوله:﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الصافات :١٥٥]، وقوله:﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[الجاثية: ٢٣]، وقوله من الواقعة مع إيثار "لولا" في الطلب: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[الواقعة: ٦٢]، فإنك تجد حذف إحدى التاءين من أول الفعل المذكور هو الذي يدل في مقام توبيخهم وزجرهم على أن متعلق التذكر لوضوحه وظهوره مما لا يتطلب طول تذكر، وإعمال نظر، كما يؤكد على عدم التذكر، ويقرر انتفاءه مطلقًا؛ بقرينة الاستفهام الإنكاري التوبيخي الذي يئول معناه إلى النفي في أكثر هذه الآيات .

وبقرينة "لولا" التحضيضية في آية سورة الواقعة، والتي خرجت عن أصل معناها، وضمنت معنى التمنى؛ لما بينهما من صلة هي مطلق الطلب في حصول التذكر، وذلك حسبما ذهب إليه السكاكي في المفتاح(٢)، كأن تذكرهم صار أمرًا مستحيلًا

(١) ينظر: الكشاف ٣٢٨/٢ ، وأبو السعود ١١٩/٤ ، والتحرير والتنوير ١٥/١١ .

(٢) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي صـ١٤٨- منشورات المكتبة العلمية الجديدة- بيروت- بدون تاريخ، ومواهب الفتاح من شروح التلخيص لابن يعقوب المغربي٢٤٤/٢- ٢٤٥- دار الكتب العلمية- بيروت- بدون

أو مستبعدًا، مع توفر أسبابه، وتحقق موجباته، وظهور دلائله في كل سياق من هذه السياقات المذكورة .

ومما هو من هذا الحذف ظاهر الدلالة على هذا المعنى المذكور- أيضًا- قول الله-تعالى-﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢] تعقيبًا على النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والأمر بإيفاء الكيل والميزان بالقسط، والعدل في القول، حتى على ذوي القربى، والوفاء بعهد الله في قوله-سبحانه:- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ﴾ الآية ، وكذا قوله في مطلع سورة النور: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور :١]، وقوله-تعالى:-﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور:٢٧] تعقيبًا في فاصلة الآية الأولى من آيات تشريع الاستئذان، وهي قوله-سبحانه:-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ الأية، فإن في الحذف دلالة على أن ما تعلق به التذكر من وصايا وعظات، وتوجيهات وإرشادات أمور واضحة، لا خلاف فيها، ولا تحتاج إلى طول تذكر، ودقة تأمل، ومن ثم أوثر معها الفعل المخفف الذي أسقطت منه إحدى التاءين .

ومن وجه آخر: فإن غلبة الهوى، وعماية الشرك على القلوب في الآية الأولى؛ إذ الخطاب فيها موجه إلى المشركين(١)، وكذلك طول الأمد، وبعد المدة، وارتفاع الكلفة بين الأقارب وذوي الأرحام، وتباين مراتبهم في الاحتشام والأنفة، واختلاف أوهامهم في عدم المؤاخذة أو في شدتها، في الآية الثانية والثالثة، كل ذلك مما يقل معه التذكر، ويوقع في الغفلة والنسيان، وقرينة هذا من أداة الترجي "لعل" فإن في إيثارها في الآيات الثلاث دليلًا على مظنة الحصول، والله أعلم(٢).

وأما حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع:-"تنزل"، وأصله:-"تتنزل" فقد ذكر أحد الباحثين في الدراسات القرآنية أنه يدور في مواضعه حول إفادة معنى القلة، وعدم الكثرة، واستشهد لذلك بقول الله-تعالى:- ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ إلى٢٢٣]، وقوله -تعالى:-﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا

تاريخ، كما ينظر كتاب : نظرات في أسلوب الإنشاء والقصر. دراسة بلاغية نقدية . د/ محمد إبراهيم عبد العزيز شادي صـــــ٢٦ - ١٩٩١م.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١١٦/٧ .

(٢) ينظر: المرجع نفسه ١٥٧/١٨ .

بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر:٤]، ووجه دلالة الحذف على القلة عنده أن الشياطين – في موضعي الشعراء- لا تتنزل على الكفرة، وإنما تتنزل على الكهنة، أو على قسم من الكهنة، وهم الموصوفون بقوله- تعالى:- "كل أفاك أثيم . يلقون السمع ...."، ولا شك في أن هؤلاء ليسوا كثيرًا في الناس، وأن الملائكة في آية القدر إنما تتنزل في ليلة واحدة من العام، وهي ليلة القدر، فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار، وعلى مدار العام، فاقتطع من الحدث باقتطاع حرف من بنية الكلمة(١).

وفيما ذهب إليه الباحث نظر؛ إذ الأولى أن يكون حذف التاء من الفعل في آية سورة القدر للمبالغة في الدلالة على سهولة التنزل، وكمال يسره، وفرط خفته وسرعته، ونهاية لطفه ورقته، لا ما ذكره من القلة وعدم الكثرة؛ فإنه مما لا يتناسب مع مقام تشريف ليلة القدر، وإعلاء شأنها، وإظهار فضلها ومنزلتها على سائر الليالي.

وأن يكون في موضعي سورة الشعراء للدلالة على تمكن الشياطين من أوليائهم، وإحكام سيطرتهم عليهم، ولا علاقة له بقلة ولا بكثرة؛ بقرينة تعدية الفعل بـــ"على" في الموضعين، والذي ينبئ عن استعلاء وقهر، وتمكن؛ وبقرينة إيثار الفعل "يلقون" الذي يدل على الاستسلام الكامل، والإذعان التام.

ثم إن المقام مقام رد وإبطال لفرية المشركين في شأن القرآن بأن الشياطين هي التي تنزلت به على النبي- صلى الله عليه وسلم-، وأوحت به إليه، والحذف بما يترتب عليه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج هو المناسب لهذا المقام؛ لدلالته على سرعة الحسم والقطع، وكون الرد على وجه لا يقبل المراجعة، والله أعلم .

وأما حذف إحدى التاءين من الفعل المضارع من مادة "التظاهر" في قوله- سبحانه- في خطاب اليهود:- ﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾ [البقرة:٨٦]، وقوله- تعالى- في خطاب أمهات المؤمنين حفصة وعائشة- رضي الله عنهما:- ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم:٤] فللمبالغة في الدلالة على الاجتماع في الأمر المظاهر عليه، والتأكيد على توحد الكلمة والرأي فيه، وفرط الخفة والإسراع إليه .

أما في الآية الأولى فللمبالغة في الدلالة على اجتماع اليهود، وتوحد كلمتهم على إخوانهم الذين هم منهم بالقتل والأسر والإخراج من الديار، وتأكيد حرصهم على فعل ذلك، وتصوير فرط خفتهم إليه، وهذا في مقام ذمهم أبلغ من الذكر وأشنع، وأقبح وأفظع؛ لندائه على عدم التزامهم في حال،

(١) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . د/ فاضل صالح السامرائي صـــ١٣- الطبعة الثانية ٢٠٠١م- دار عمان- الأردن .

وفي وقت بالعهود والمواثيق المأخوذة عليهم في التوراة أن لا يفعلوا ذلك، وفرط سرعتهم في نقضها ونكثها(١).

وأما في آية التحريم فللمبالغة – أيضًا– في تصوير تعاون حفصة وعائشة– رضي الله عنهما–، وتأكيد اجتماع كلمتهن في الغيرة وإفشاء سر النبي– صلى الله عليه وسلم–، وذلك على ما جاء في أسباب النزول من أن النبي – صلى الله عليه وسلم– خلا بمارية في يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة، أو كان ذلك في يوم حفصة، فقال لها: اكتمي علي، وحلف بالله أن لا يقرب مارية، وبشرها بأن أبا بكر وعمر يملكان أمر أمته بعده، فأخبرت به عائشة، وكانتا متصادقتين(٢).

أو ما جاء من أن النبي – صلى الله عليه وسلم– شرب عسلًا في بيت زينب –رضي الله عنها–، فتواطأت حفصة وعائشة على أن يقولا له : نشم منك رائحة المغافير – صمغ شجر العرفط– وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يكره التفل، فحرم العسل فنزلت سورة التحريم(٣)، وهذا في مقام زجرهن وعتابهن، ولومهن وتعنيفهن أدخل وأوقع؛ لدلالة الحذف على فرط مبادرتهن إلى إفشاء سر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وسرعة استهواء الغيرة قلوبهن.

على أن من وراء الحذف في آية التحريم سرًا آخر هو الدلالة – بمعونة قرائن السياق والأحوال– على قلة صدور هذا التعاون والتظاهر منهن وندرته في غير هذا الموقف الذي كشفت عنه أسباب النزول، وأن هذا ليس من دأبهن ولا من عادتهن، وإلا ما أمر النبي – صلى الله عليه وسلم– بمراجعتهن، والتكفير عن يمينه التي حلفها، ولو ذكرت التاء لدلت على الكثرة والتتابع، وأن هذا من دأبهن وعادتهن، وهذا غير مراد، والله أعلم.

فإذا انتقلنا من الصيغة السابقة إلى حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع من مادتي "التفرق والتمني" في قول الله – سبحانه:–﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران :١٠٣]، وقوله – سبحانه:–﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [آل عمران :١٤٣] وجدنا أن الحذف منهما هو الأوفق في مقامه في كل منهما من الذكر؛ أما المقام في الآية الأولى فهو مقام نصح وإرشاد، وتوجيه ودعوة إلى الاتحاد، والاعتصام بحبل الله، والنهي عن التفرق والتشتت والتنازع، وحذف إحدى التاءين من أول الفعل:–"تفرقوا"؛ إذ الأصل: "تتفرقوا" هو الأبلغ في هذا المقام، الأقوى في تصوير

---

(١) ينظر: أبو السعود ١/١٢٤–١٢٥، وروح المعاني للألوسي١/٣١١ وما بعدها .

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي صـــ٤٣٨ ، والكشاف للزمخشري ٤/٥٦٢–٥٦٣ .

(٣) ينظر: أسباب النزول للواحدي صـــ٤٣٩ ، والكشاف للزمخشري ٤/٥٦٣ .

هذه المعاني؛ لما فيه من دلالة على نفي كل صور التفرق، وجميع أشكال التنازع، قليلة كانت أم كثيرة، على مستوى الأفراد أو الجماعات، ولو ذكرت التاء في أول الكلمة لأوهمت أن المنهي عنه هو الكثير من التفرق والتشتت دون القليل منه(١).

وقرينة هذا التوجيه من الحال المؤكدة في سياق الكلام، وهي قوله:- "جميعًا"؛ إذ فيها نداء على أن الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق والتنازع مطلوب من جميع أفراد الأمة واحدًا واحدًا وبلا استثناء(٢).

ومن الأمر بالاعتصام في مستهل الآية -أولًا-، ثم إتباعه بالنهي عن التفرق المؤكد لمعناه -ثانيًا-، ثم من تذكيرهم بنعمة الله -تعالى- عليهم، حيث ألف بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداءً متناحرين -ثالثًا-، ثم من نهيهم -أخيرًا- عن التشبه بالذين تفرقوا واختلفوا في قوله -سبحانه:- ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

والمقام في الآية الثانية مقام لوم وعتاب، وزجر وتأنيب وتوبيخ خوطب به الذين لم يشهدوا بدرًا، وكانت تتوق أنفسهم إلى أن يحضروا مشهدًا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليصيبوا من كرامة الشهادة ما أصاب شهداء بدر، فألحوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الخروج إلى المشركين في أحد، وكان رأيه الإقامة بالمدينة، فلما كان ما كان يوم أحد انهزموا عنه، وقل ثباتهم عنده، فوبخوا على ذلك كله(٣).

وحذف إحدى التاءين من أول الفعل هو الأبلغ في هذا المقام؛ لأنه الأدخل في اللوم والعتاب، الأقوى زجرًا وتأنيبًا وتوبيخًا؛ لدلالته على يسر التمني وسهولته، وخفة مؤونته، وأن ثمت افتراقًا كبيرًا، وبونًا شاسعًا بين حديث النفس ونجوى الوجدان، وبين الاصطدام بالواقع والتعامل معه؛ إذ ليس الخبر كالمعاينة .

وقرينة هذا من قوله -سبحانه- في الآية نفسها :-"فقد رأيتموه وأنتم تنظرون"، فإنه قاطع الدلالة في هذا المعنى.

وفي الحذف نكتة أخرى: وهي أن يشبه الفعل المحذوف منه في هيأته وشكله الفعل من المادة نفسها في زمن المضي؛ تجاوزًا لهذه الأحداث المؤلمة التي وقعت في يوم أحد على وجه السرعة، فقد أصبحت هي الأخرى في حكم الماضي، كما كان تمنيها حاصلًا في الزمن الماضي.

وأخيرًا: فإن وراء ما يحصل بالحذف ويترتب عليه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في الأداء مقصدين

---

(١) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . د/ فاضل صالح السامرائي صـ١٥ .

(٢) ينظر: المرجع نفسه صـ١٥ وما بعدها .

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤٢١/١، وأبو السعود ٩٢/٢ .

آخرين، هما: تخفيف وقع المصاب الذي نزل بالمسلمين في يوم أحد، ومداواة بعض آثاره على النفوس –أولًا–، والاحتراز – ثانيًا– عن اجتماع مثقلات في نسق الكلام؛ ثقل توالي الأمثال لو ذكرت التاء المحذوفة، وثقل المصدر المؤول من "أن" وما دخلت عليه في قوله:–" أن تلقوه"، وثقل الضيق؛ بسبب المصاب والحزن مما ألم بهم في أحد، فكان أن خففت الكلمة بالحذف من بنيتها مراعاة لكل هذه الأحوال والمقتضيات.

فإذا تجاوزنا هذا وذاك إلى الفعل المضارع من مادة "التصدق" في قول الله – تعالى:–﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] وجدنا الحذف من الفعل :"تصدقوا"؛ إذ الأصل "تتصدقوا"؛ بدلالة قراءة من قرأ بشد الصاد على إدغام التاء الثانية فيها، ومن دون حذف[١]–هو الذي يتطابق – باعتبار– مع مقتضى حال المعسرين في الضيق؛ بسبب الإعسار؛ لما فيه من التعجيل بذكر المسرة التي تتوق إليها نفوس المعسرين، وتمتلئ بها صدورهم انشراحًا وانبساطًا؛ لدلالة الحذف على السرعة، وفرط المبادرة، وهذا فيه ما فيه من تخفيف المعاناة عن كاهل المعسرين، والترويح عن نفوسهم، وإزالة الهم والحزن من قلوبهم .

وهو الذي يتطابق – باعتبار آخر– مع مقتضى حال المخاطبين في الشح والبخل بالتجاوز عن المعسرين، والتصدق عليهم بدينهم الذي عليهم خاصة، لاسيما وأن هذا من أنواع الصدقة وأحوالها النادرة التي تثقل على القلوب، وتضن بها النفوس، فخوطبوا بالأبلغ الآكد؛ مراعاة لهذه الحال؛ وتهوينًا للأمر على النفس[٢].

وهو الأوفق – باعتبار ثالث– بمقام الحث والترغيب في التجاوز عن المعسرين الذين عجزوا عن السداد، الأقوى في الحض على التصدق عليهم برؤوس الأموال كلها أو بعضها[٣]؛ لدلالة الحذف في كل ما سبق على السرعة، وفرط المبادرة إلى المطلوب؛ بما يترتب عليه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج، حتى كأنهم امتثلوا الأمر، وشرعوا في التنفيذ ومن دون تردد أو تمهل .

وفي الحذف – أيضًا – نوع من التحاشي عن اجتماع ثقلين في نسق الكلام؛ ثقل توالي المثلين في أول الفعل، وثقل المصدر المؤول من "أن" وما دخلت عليه، وهو الفعل موضع البحث نفسه، هذا إلى جانب ثقل هذا النوع من الصدقات على

---

(١) ينظر السبعة في القراءات لابن مجاهد صـــ١٩٢ .

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . د/ فاضل صالح السامرائي صـــ١٨ .

(٣) ينظر: الكشاف ٣٢٣/١، وأبو السعود ٢٦٨/١ .

النفس، فكان أن جاء الحذف ؛ تخفيفًا من اجتماع كل هذه الأثقال، والله أعلم .

ثم يأتي بعد الحذف من الفعل المضارع من المادة السابقة الحذف من أول الفعل المضارع من مادة "التولي" في قول الله – تعالى:- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]؛ إذ الأصل :"تتولوا" بتاءين، حذفت إحداهما، حسبما قرره المفسرون(١).

والذي يتأمل حذف إحدى التاءين من أول الفعل في هذا السياق يجد أنه الذي يتطابق مع مقتضى حال المخاطبين في الإيمان والطاعة؛ إذ المخاطب بهذه الآية الكريمة هم المؤمنون؛ بقرينة ندائهم بخطاب الإيمان في أولها:-" يا أيها الذين آمنوا"، وبقرينة الجملة الحالية في ختامها:-" وأنتم تسمعون"؛ فإنها واردة مورد التأكيد على وجوب الانتهاء عن التولي مطلقًا، لا لتقييد النهي عنه بحال السماع، كما في قوله – تعالى:- ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة :٢٢] (٢).

وإنما كان الحذف من الفعل هو الملائم لهذه الحال؛ لدلالته على نفي التولي مطلقًا، قليلًا كان أم كثيرًا، ظاهرًا كان أم خفيًا، ولو ذكرت التاء لدلت على أن النهي منصرف إلى الكثرة والتتابع، وهذا ما يتنافى مع مقام الإيمان والطاعة، ومما لا يليق بأهل الإيمان والطاعة، ولا يكاد يصدر عنهم.

ومن وجه آخر فإن الحذف من أول الفعل هو الذي يتطابق –بدلالته السابقة– مع مقام التأدب مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ لدلالته على كمال الطاعة له، وتمام التسليم لأمره؛ لأنه من لوازمه؛ فإن التولي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– والإعراض عن الاستماع إليه، ولو على وجه القلة والندرة مما ينافي الأدب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

أما الحذف من أول الفعل المضارع من مادة التربص فقد جاء في سياق قوله – سبحانه:- ﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَا ﴾ [التوبة:٥٢]؛ إذ الأصل تتربصون، حذفت منه إحدى التاءين تخفيفًا(٣).

وحذف إحدى التاءين من أول الفعل المذكور هو الذي يتناغم في دلالته على قلة جدوى هذا التربص، وعدم غنائه عن المنافقين شيئًا، وعدم اعتداد المؤمنين به والتفاتهم إليه؛ لحقارته، وضعف منشأه، مع مقام تثبيت المؤمنين في مواجهة المنافقين المتربصين، وتلقينهم حجتهم التي يفحمونهم بها، ويعمقون بها اليأس والقنوط في نفوسهم من أن ينالوا من المؤمنين شيئًا.

(١) ينظر:الكشاف ٢٠٩/٢ ، وأبو السعود ١٤/٤.
(٢) ينظر أبو السعود ١٤/٤–١٥ .
(٣) ينظر أبو السعود ٧٣/٤ .

وهو الذي يعمل على هدهدة التوتر والانفعال، وتخفيف مشاعر الضيق والغضب التي يكتظ بها صدر النبي – صلى الله عليه وسلم–، وصدور المؤمنين معه حيال كيد المنافقين ومكرهم بهم؛ فإن النفس البشرية تجنح في هذه المقامات إلى الإيجاز واقتصاد العبارة؛ نزولًا على متطلبات الفطرة، واستجابة لنوازع الوجدان في هذه المواقف.

وقرينة هذا من إخراج الجملة مخرج القصر بالنفي والاستثناء خاصة، والذي يستخدم في المقامات المشحونة بالجحد والإنكار؛ لما فيه من حدة واقتدار، وحسم وقوة.

ومن ختام الآية الكريمة بهذا الأمر التهديدي:–"فتربصوا إنا معكم متربصون" فإنه يعكس إلى درجة كبيرة مدى الضيق والحنق، ويجسد شدة الانفعال والغضب.

وأما حذف إحدى التاءين من مضارعي مادتي "التكلم والتفكه" في قول الله–سبحانه:–﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود :١٠٥]، وقوله – سبحانه:–﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [الواقعة :٦٥]، فقد سبق تحليلها عند الحديث عن حذف لام الفعل المضارع، وعند الحديث عن حذف وسط الكلمة، فيمكن مراجعتها في مظانها هناك، والله المستعان .

ومما حذفت منه إحدى التاءين في أوله الفعلان المضارعان من مادتي "التبرج والتبديل" في قول الله –سبحانه :–﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب :٣٣]، وقوله –سبحانه:–﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب :٥٢]، إذ أصل الفعلين قبل الحذف هو "تتبرجن"، "تتبدل"، ثم حذفت إحدى التاءين من كل منهما .

وإنما حذفت إحدى التاءين من أول الفعل في الآية الأولى للمبالغة في الدلالة على تحريم التبرج، وحظر كل صوره وأشكاله، قليلة كانت أم كثيرة، ظاهرة كانت أم خفية، وذلك تأكيدًا على حرمة بيوت أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم–، وتقريرًا لقدسيتها، ونداءً على مخالفتها لسائر البيوت، ولو ذكرت التاء لدلت على أن النهي منصرف إلى التبرج الكثير، دون القليل.

ومن وجه آخر: فإن في الحذف إيحاءً – بما يترتب عليه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج– بسرعة ميل النفوس إلى التبرج، وفرط سهولته عليها، فإن النفوس في الممنوع أرغب، وعليه أحرص، ومن ثم جاء التأكيد على حرمته مضاعفًا، والنهي عن كافة صوره وأشكاله محققًا؛ من خلال هذا الحذف، إلى جانب المصدر المؤكد من مادة الفعل نفسه، والمضاف إلى "الجاهلية الأولى".

وهو الذي يتناغم في الآية الثانية مع مقام إظهار كرامة أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم– وتقرير فضلهن والإعلاء من شأنهن(١)، حيث آثرن جانب الله ورسوله والدار الآخرة على جانب الحياة الدنيا وزينتها؛ لدلالة الحذف على حرمة التبديل مطلقًا، ومن كل الوجوه، فليست حرمة التبديل قاصرة على بعضهن دون بعض، وفي زمن دون زمن، وحال دون حال، بل يدخلن كلهن ويندرجن تحت هذا الحكم، بقرينة دخول "من" على النكرة "أزواج" في سياق النفي؛ للعموم والشمول .

وبقرينة وضع النفي موضع النهي في قوله :–"لا يحل لك النساء من بعد"؛ للتأكيد على ثبوت الحرمة، والتنبيه إلى سرعة الامتثال، وأن ذلك لا ينبغي أن يقع من أصله، فضلًا عن أن يكون موضعًا للنهي عنه(٢).

وفي الحذف –أيضًا– احتراز عن اجتماع ثقلين في نسق الكلام؛ ثقل توالي الأمثال لو ذكرت التاء المحذوفة، وثقل المصدر المؤول من "أن" وما دخلت عليه، وهو الفعل موضع البحث نفسه، والله أعلم.

(١) ينظر: الكشاف ٥٥٣/٣ ، وأبو السعود ١١١/٧ .

(٢) ينظر: التبادل الدلالي بين النفي والنهي في القرآن الكريم . دراسة بلاغية . د/السيد أحمد أحمد موسى صـــ١٨٣٤ ، بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة ٢٠١٥م .

ومما حذفت منه التاء في أوله–أيضًا– الفعل المضارع من مادة "التزكي"، وذلك من قوله –سبحانه– في سياق قصة موسى وفرعون من سورة النازعات :–﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [النازعات:١٨] .

وإنما حذفت إحدى التاءين من أول الفعل ، إيجازًا واختصارًا؛ جريًا على منهاج العادة في مخاطبة الملوك والجبابرة، وتناغيًا مع مقام الدعوة إلى الله –تعالى– بالحكمة والموعظة الحسنة، لما في الحذف –بما يترتب عليه من خفة الكلمة في النطق، وسهولتها في المخارج– من تلطف في الطلب، ولين الجانب في خطاب اللعين، وغاية الرفق في الحديث معه؛ بقرينة إيثار الاستفهام في الطلب، ودخول "أن" المصدرية على الفعل موضع البحث نفسه؛ إذ يشير اجتماع كل هذه القرائن إلى أن مرد الأمر إلى إرادته، متوقف على قبوله ورضاه .

ومن وجه آخر: فإن ما وراء الحذف من أول الفعل من إيحاء بمعنى القلة هو الذي يشي بأن المقصود من التطهر نوع معين، وهو التطهر المعنوي من دنس الكفر والطغيان(٣)، وهذا–أيضًا– يعمل عمله في مقام الدعوة إلى الله – تعالى– بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لما فيه من إيناس نفس اللعين، واستمالة إصغائه، واستجلاب رضائه.

(٣) ينظر: الكشاف ٦٩٥/٤ .

وأما حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع:- "تصدى"، والفعل المضارع:- "تلهى" في قول الله -سبحانه:-﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾ [عبس:٥-٦]، وقوله -سبحانه:-﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [عبس٨-٩-١٠]، فإن الحذف هو الذي يصور-في الصيغة الأولى - شدة حرصه -صلى الله عليه وسلم، وعظم رغبته، وقوة تهالكه في دعوة الصناديد والسادة إلى الإيمان والطاعة، وينبئ عن فرط لهفته إلى تحقق ذلك، ويعكس نهاية احتشاده في التعرض لهم واستقبالهم؛ لما يترتب على إسلامهم من إسلام كثير غيرهم .

وهو الذي يبرز في الصيغة الثانية شدة انصراف النبي-صلي الله عليه وسلم- عن صاحبه عبد الله بن أم مكتوم الذي نزلت فيه هذه السورة، حسبما جاء في أسباب النزول(١)، ويعكس عدم التفاته إليه، وقلة اهتمامه به، وكبير تشاغله عنه في هذا الموقف خاصة؛ لما في الحذف في الموضعين من دلالة على فرط السرعة، ونهاية العجلة، وقوة المبادرة، وهذا وذاك أوقع في مقام معاتبته - صلى الله عليه وسلم- وأدخل في لومه وتعنيفه، وأقوى في تنفيره عما بدر منه، وفرط عنه، وأدعى إلى سرعة الإذعان والامتثال، وهذا ما كان؛ فقد روى أنه - صلى الله عليه وسلم- ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط، ولا تصدى لغني، وكان إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم يقول: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟، واستخلفه على المدينة مرتين(٢).

على أن من وراء الحذف سرًا آخر غير ما سبق؟ وهو أن يكون الفعلان المذكوران على صورة الأفعال في فاصلة السورة الكريمة من حيث الهيئة والوزن، لتحقيق نوع من توازن الإيقاع، وتناغم الجرس في الفواصل، وهذا من وسائل القرآن في جذب الإصغاء، واستمالة القلوب، واستهواء الأفئدة نحو المعنى المراد؛ تقريرًا له في النفس، وتمكينًا له في الوجدان.

وأخيرًا: فإن حذف إحدى التاءين من أول الفعل:-"تحاضون" في قول الله -تعالى :-﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الفجر: ١٨]، أي: تتحاضون هو الذي يقتضيه مقام تصوير غاية سوء أفعال الإنسان بعد تصوير غاية سوء أقواله، في قوله -سبحانه:-﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾الآيات [الفجر:١٥-١٦]؛ لما فيه من زيادة في الذم

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي النيسابوري صـــ٤٤٩ .

(٢) ينظر: الكشاف ٤/٧٠٠-٧٠١-٧٠٢ ، وأبو السعود ٩/١٠٧-١٠٨ ، وروح المعاني للألوسي ١٥/٢٤١ .

والتشنيع، وغاية التوبيخ والتقريع؛ لدلالته على قلة الحض وندرته، أو انتفائه مطلقًا؛ بقرينة زيادة مبنى الفعل نفسه بالألف، وذلك من زيادة المعنى، كما هو مقرر عند علماء العربية؛ وبقرينة سياق الكلام قبله من قوله:-"كلا بل لا تكرمون اليتيم" [الفجر:١٧]، وقوله بعده :-﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر:١٩-٢٠] .

وفي الحذف -أيضًا- احتراز من اجتماع ثقلين على كلمة واحدة؛ ثقل توالي الأمثال لو ذكرت التاء، وثقل المد المضعف ما بعده، ولعل هذا هو السر-أيضًا- في إيثار اسم المصدر من مادة "طعم"، دون المصدر نفسه، والله أعلم .

الخاتمة

****

وإلى هنا، وبعد هذه المسيرة الوارفة في ظلال حذف حروف المباني في القرآن الكريم، تلك القضية التي تمحور حولها البحث، ودارت عليها الدراسة في صورها وأنماطها المختلفة، ووقفت عند مواضعها تفكراً وتأملاً في محاورها التي استوفتها الخطة تفصيلاً وتحليلاً؛ في محاولة جادة لتبين دواعيها ومناشئها، واستبطان خوافيها ودقائقها، واستكناه أسرارها ونكاتها؛ للتعرف على بعض وجوه الإعجاز والعظمة في هذا الكتاب العزيز.

إلى هنا يحط البحث رحاله عند الخاتمة؛ ليرصد فيها بعض أهم الملحوظات، ويسجل أهم النتائج التي أثمرتها الدراسة، وتفتقت عنها صورها ومحاورها، وذلك على النحو الآتي:-

أولاً: الكلمة القرآنية كلمة بليغة تجري – متفردة – على النسق البلاغي في مبناها ومعناها؛ لتخرج – بسمتها هذا – عن حدود ذلك الإطار الضيق الذي درج عليه العرف البلاغي في حد البلاغة وحصرها في أنها لا تعدو أن تكون وصفاً للكلام والمتكلم، دون أن تكون وصفاً للكلمة المفردة حقيقة؛ فإن ما يتعلق ببنية المفردة القرآنية خاصة من الأسرار والنكات البلاغية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقرائن السياق، وملابسات المقام، وتتناغم مع طبيعة المعنى والغرض المقصود، وتصوره على أكمل وجه وأتمه يخالف هذا العرف وينقضه.

ثانياً: الرسم العثماني للمصحف الشريف في كثير من صوره وأشكاله على ما ذهب إليه كثير من العلماء رسم توقيفي من عند الله – تعالى – نزل لاستيعاب كافة الملابسات السياقية والمقامية التي تكتنف النص القرآني من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، وذلك على الرغم من مخالفة هذا التوجه لتوجهات كثير من العلماء الذين ذهبوا إلى أنه من عمل الصحابة وكتاب الوحي بأمر الخلفاء، وليس أدل على هذا من مقابلة بعض هذه الصيغ التي حذف من بنيتها أحد الحروف في موضع بالصيغ نفسها مما استوفت فيه الكلمة كل حروفها، ومن دون حذف في موضع آخر.

ثالثاً: تعدد وتنوع صور المحذوف من بنية المفردة القرآنية، واختلاف مواضعه قد أضفى على هذا النوع من الحذف ثراءً واسعاً في الدلالة، وعمقاً في الإيحاء والغرض، وكثرة وتنوعاً في الأسرار والنكات؛ لتفرد كل نوع منها بخصوصية في السياق والمقام، تجعل طبيعة المعنى والدلالة معه تختلف عن طبيعة المعنى والدلالة في موضع آخر.

رابعاً: يعد الحذف من طرفي المفردة القرآنية – من أولها أو من آخرها– هو أكثر صور حذف حروف المباني دوراناً واستعمالاً في القرآن الكريم، ويرجع السبب في ذلك إلى ضعف الأطراف، وكونها عرضة لتغاير المؤثرات والعوامل.

خامساً: قلة وقوع هذا النوع من الحذف في وسط المفردة القرآنية؛ وذلك من قوة الوسط ومنعته، وبعده ثم عن تغاير العوامل والمؤثرات؛ لاكتناف الأطراف له من بين يديه ومن خلفه.

سادساً: يدور هذا النوع من الحذوف في كثير من مواضعه التي جاء فيها من كتاب الله – تعالى – حول المبالغة في الدلالة على معنى السرعة، وتأكيد فرط السهولة، وكمال اليسر؛ لما يترتب على الحذف من خفة الكلمة المحذوف منها في النطق، وسهولتها في المخارج، وقد يفيد المبالغة في الدلالة على معنى القلة والندرة، أو الانتفاء مطلقاً.

سابعاً: كل حرف من حروف القرآن قد وزن بميزان دقيق، وجاء في موضعه على النهج القويم، حذفاً أو ذكراً، ولو خرج على خلاف ما جاء عليه لاختل النسق، وفسد المعنى، وتلاشى الحسن، وذهبت المزية، وضاعت البلاغة.

هذه بعض أهم النتائج التي وقف البحث عليها من دراسة هذه الظاهرة اللغوية والدلالية في كتاب الله – تعالى –، ولست أزعم أن ما حوته قد أحاط علماً بكل أسرار هذه الظاهرة في القرآن، فتلك غاية لا تدرك، وسيبقى القرآن غضاً طرياً كما نزل، لا تنقضي غرائبه، ولا تفنى عجائبه.

والله أسأل أن يرزق هذا العمل الإخلاص، وأن يضع له القبول في القلوب، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

****

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي- تحقيق:- د/مصطفى ديب البغا- الطبعة الثالثة ١٩٩٦م - دار ابن كثير- بيروت .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي- الطبعة الرابعة١٩٩٤م- دار إحياء التراث العربي- بيروت .

٣- أسباب النزول للواحدي النيسابوري- تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان- الطبعة الثانية ١٩٩٢م- دار الإصلاح- الدمام –السعودية .

٤- أصوات اللغة العربية . د/ محمد حسن حسن جبل – الطبعة الثالثة ١٩٩٣م .

٥- الأضداد في اللغة لابن الأنباري- تحقيق :- محمد إبراهيم الدسوقي- دار الطلائع ٢٠١٣م .

٦- إعراب القرآن للنحاس- تحقيق/ عبد المنعم خليل إبراهيم- الطبعة الأولى ١٤٢١- دار الكتب العلمية بيروت .

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي- الطبعة الأولى١٩٩٨م- دار إحياء التراث العربي- بيروت

٨- الإيضاح في علوم البلاغة . المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني- دار الجيل- بيروت- بدون تاريخ .

٩- إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري- تحقيق : محيي الدين عبد الحميد رمضان- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م .

١٠- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي- الطبعة الثالثة ١٩٩٠م – دار إحياء التراث العربي- بيروت

١١- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني محمود بن حمزة – تحقيق/ عبد القادر أحمد عطا- دار الفضيلة – القاهرة ١٩٩٧م .

١٢- البرهان في علوم القرآن للزركشي- تحقيق: د/ محمد متولي منصور- الطبعة الأولى ٢٠٠٨م- مكتبة التراث- القاهرة .

١٣- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . د/ فاضل صالح السامرائي – الطبعة الثانية٢٠٠١م- دار عمار- عمان- الأردن .

١٤- التبادل الدلالي بين النفي والنهي في القرآن الكريم . دراسة بلاغية- د/ السيد أحمد أحمد موسى- بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة ٢٠١٥م .

١٥- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور-الطبعة الأولى ٢٠٠٠م- مؤسسة التاريخ- بيروت .

١٦- التطور اللغوي والتاريخي للغة العربية . د/ إبراهيم السامرائي- دار الفكر- دمشق .
١٧- التعبير القرآني. د/ فاضل صالح السامرائي- الطبعة الثالثة٢٠٠٤م- دار عمار- عمان- الأردن
١٨- التفسير البياني للقرآن . د/ عائشة عبد الرحمن- الطبعة الرابعة١٩٩٠م- دار المعارف- مصر .
١٩- التفسير الكبير للفخر الرازي- الطبعة الأولى ١٩٩٢م- دار الغد العربي- مصر .
٢٠- جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم . د/ أسامة عبد العزيز جاب الله- الطبعة الثانية٢٠٠٩م- دار الإسراء للطباعة والنشر- طنطا .
٢١- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي- تحقيق: د/ فخر الدين قباوة- أ/ محمد نديم فاضل- الطبعة الأولى ١٩٩٢م- دار الكتب العلمية- بيروت .
٢٢- حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على الكشاف- الطبعة الثالثة ١٩٨٧م- دار الريان للتراث- القاهرة .
٢٣- الخصائص لابن جني. تحقيق/ محمد على النجار- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ٢٠٠٦م .
٢٤- خصائص التراكيب . د/ محمد محمد أبو موسى- الطبعة الرابعة١٩٩٦م- مكتبة وهبة- القاهرة .
٢٥- دراسات في علم الصوتيات. د/ أبو السعود أحمد الفخراني- الطبعة الأولى٢٠٠٥م- مكتبة المتنبي- المملكة العربية السعودية.
٢٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي – تحقيق/ أحمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق – بدون تاريخ.
٢٧- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني – تحقيق/ محمود محمد شاكر- الطبعة الثالثة ١٩٩٢م – مطبعة المدني – القاهرة – جدة.
٢٨- دلالات التراكيب. د/ محمد محمد أبو موسى – الطبعة الثانية ١٩٨٧م – مكتبة وهبة – القاهرة.
٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي – الطبعة الأولى ١٤١٥ه – دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٠- السبعة في القراءات لابن مجاهد – تحقيق: د/ شوقي ضيف – الطبعة الثانية ١٤٠٠ه – دار المعارف – مصر.
٣١- سنن ابن ماجه – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى

البابي الحلبي.
٣٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك –تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد –دار الطلائع ٢٠٠٩م.
٣٣- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام المصري- تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد- الطبعة الثانية ١٩٩٨م- المكتبة العصرية- صيدا – بيروت .
٣٤- شرح المفصل لابن يعيش- مكتبة المتنبي- القاهرة- بدون تاريخ.
٣٥- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي اليمني- تحقيق/ محمد عبد السلام شاهين- الطبعة الأولى١٩٩٥م- دار الكتب العلمية- بيروت .
٣٦- الكتاب لسيبويه- تحقيق/ عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة ١٩٨٨م .
٣٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري- الطبعة الثالثة ١٩٨٧م- دار الريان للتراث- القاهرة .
٣٨- الكنز في القراءات العشر للواسطي أبو محمد- تحقيق: د/خالد المشهداني- الطبعة الأولى٢٠٠٤م- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة .
٣٩- لسان العرب لجمال الدين بن منظور- دار المعارف- مصر١٩٧٦م .
٤٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير- تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد- الطبعة الأولى٢٠٠١م- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت .
٤١- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثني- تحقيق/ محمد فؤاد سزكين- مكتبة الخانجي- القاهرة١٣٨١هـ .
٤٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- وزارة الأوقاف ١٩٩٩م .
٤٣- المحرر الوجيز لابن عطية- تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- دار الكتب العلمية- بيروت .
٤٤- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي- تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن- الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- مؤسسة الرسالة- بيروت .
٤٥- معاني القرآن للأخفش- تحقيق: د/ هدى محمود قراعة- الطبعة الأولى ١٩٩٠م- مكتبة الخانجي- القاهرة .
٤٦- معاني القرآن للفراء- تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجار- الطبعة الأولى بدون تاريخ- دار المصرية للتأليف والنشر .
٤٧- معاني القرآن وإعرابه للزجاج- تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي- الطبعة الأولى ١٩٨٨م- عالم الكتب- بيروت .

٤٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصري- تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت١٩٨٧م .
٤٩- مفتاح العلوم للسكاكي- منشورات المكتبة العلمية الجديدة- بيروت- بدون تاريخ .
٥٠- المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني- مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة ١٩٨٧م .
٥١- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي- تحقيق/ سعيد الفلاح- الطبعة الأولى١٩٨٣م- دار الغرب الإسلامي- بيروت
٥٢- مواهب الفتاح من شروح التلخيص لابن يعقوب المغربي- دار الكتب العلمية- بيروت- بدون تاريخ .
٥٣ - نظرات في أسلوب الإنشاء والقصر. دراسة بلاغية نقدية . د/ محمد إبراهيم عبد العزيز شادي - ١٩٩١م.
٥٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي- دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- بدون تاريخ
٥٥- الوقف في القراءات القرآنية . د/ مجدي حسين- دار ابن خلدون- الإسكندرية ٢٠٠٢م .

"فهرس الموضوعات"

****

م	الموضوع	لصفحة
١	**المقدمة**	١٠٣
٢	**التمهيد:** أنواع الحذف وأسبابه.	١٠٦
٣	**المحور الأول: حذف ياء المنقوص في القرآن الكريم.**	١٠٩
٤	الصورة الأولى: حذف ياء المنقوص معرفاً.	١١٠
٥	الصورة الثانية: حذف ياء المنقوص منكراً.	١٢٤
٦	**المحور الثاني: حذف لام الفعل في القرآن الكريم.**	١٤٣
٧	الصورة الأولى: حذف الياء من آخر الفعل المضارع.	١٤٣
٨	الصورة الثانية: حذف الواو من آخر الفعل المضارع.	١٥٠
٩	الصورة الثالثة: حذف النون من آخر فعل الكون المضارع.	١٥٤
١٠	**المحور الثالث: حذف الألف من آخر "حاشا".**	١٦٤
١١	**المحور الرابع: حذف ألف "ها" التنبيه المتصلة بـ"أي" في النداء**	١٦٧
١٢	**المحور الخامس: حذف وسط الكلمة في القرآن الكريم.**	١٧٠
١٣	الصورة الأولى: حذف تاء الافتعال.	١٧٠
١٤	الصورة الثانية: حذف اللام الأولى من الفعل "ظل".	١٧٥
١٥	**المحور السادس: حذف إحدى التاءين من أول الفعل المضارع.**	١٧٨
١٦	**الخاتمة.**	١٩٠
١٧	فهرس المصادر والمراجع.	١٩٢
١٨	فهرس الموضوعات.	١٩٦